صفحات في جغرافية اللغـة العربيـة

دكتور محمد محمود محمدين
الاستاذ المساعد بقسم الجغرافيا ـ كلية التربية جامعة الرياض

اللغة العربية لغة سامية ، نشأت في الجزيرة العربية فتأثرت ببيئتها الجغرافية ويظهر ذلك واضحا في مفرداتها التي تعبر عن البيئة الصحراوية بدقة كبيرة ٠

وحينما أشرقت الدعوة الاسلاميـة وانتشرت شرقـا وغربـا حملت معها اللغة العربيـة ، وبفضل القرآن والفتوح الاسلاميـة انتشرت العربية انتشارا لم تعرفه لغة أخرى ٠

وقد تأثر انتشار العربيـة بالظروف الجغرافيـة مـن موقع وسطح ومناخ وكان انتشارها شمالا الى بلاد الشام والرافديـن ، وغربا الى افريقيا حيث عبرت شبه جزيرة سينـاء وبـاب المندب وقضت على اللغة القبطية في مصر واللغات البربرية فـي شمـال أفريقيا ٠

ويتحـدث بالعربيـة الان نحو ١٣٠ مليونـا ، أي ٨٩٪ من مجموع سكان العالم العربي بينما يتحدث بغير العربية سبعة عشر مليونا ، وأهم اللغات غير العربيـة المنتشرة فـي أقطـار العالـم العربي ، هي اللغات البربرية ، والكوشية والسودانية والكرديـة والفارسية ٠

تمهيد :

العربية بين لغات العالم :

اللغة سمة بشرية ينفرد بها الانسان دون سائر الكائنات الحية ، وهي ظاهرة اجتماعية ، اذ أنها لا تدين بوجودها لفرد معين أو مجموعة من أفراد معينين وانما يرجع ميلادها للحياة الاجتماعية · ولقد تطورت اللغات وتفرعت وتعددت لهجاتها بانتشار الانسان على سطح هذا الكوكب حتى انه ليقدر عدد ما كان متداولا من لغات على سطح الأرض في يوم ما بنحو ٦٠٠٠ أو سبعة آلاف لغة (١) ·

ويقدر عدد اللغات المستخدمة الآن بثلاثة آلاف لغة ، تستأثر أربع عشرة منها فقط بألسنة أكثر من ٦٠٪ من سكان العالم ·

وأكثر لغات العالم من حيث عدد الناطقين بها هي اللغة الصينية الماندارينية Mandarin Chinese التي يتحدث بها أكثر من ٦٠٠ مليون من بني البشر ، وتليها الانجليزية التي يستخدمها أكثر من ٣٥٠ مليون فرد ·

وتلى هاتين اللغتين مجموعة من اللغات يتحدث بكل منها أكثر من مائة مليون فرد مثل الاسبانية (١٩٥ مليون فرد) ، والهندية (١٩٠ مليون فرد) ، والعربية (١٤٠ مليون فرد) ، واليابانية (١٠٠ مليون فرد) ·

وهناك مجموعة أخرى من اللغات يقل عدد أصحابها عن مائة مليون ويزيد على خمسين مليونا مثل الفرنسية ، والايطالية ، والأردية ، والالمانية ، والبرتغالية ، والبنغالية (٢) ·

ومن بين لغات العالم نحو ٥٠٠ لغة لا يزيد مجموع المتحدثين بكل منها على مليون فرد ، من هذه اللغات : لغة اللاب في شمال اسكندیناوه وفي كارالیا Karalia حيث لا يزيد عدد المتحدثين بأي منهما على عشرة آلاف نسمة (٣)، ولا يزيد عدد المتحدثين باللغة الايرلندية الحديثة (لغة التعليم في جمهورية ايرلندا) على ثلاثين ألف نسمة ·

ويقسم علماء اللغة المعاصرون اللغات المختلفة الى عائلات ومجموعات لغوية تبعا لما بينها من تقارب في طريقة النطق أو نظام الحركات أو التشابه في القواعد وبنية الكلمات · ومن أهم هذه العائلات اللغوية (شكل ١) :

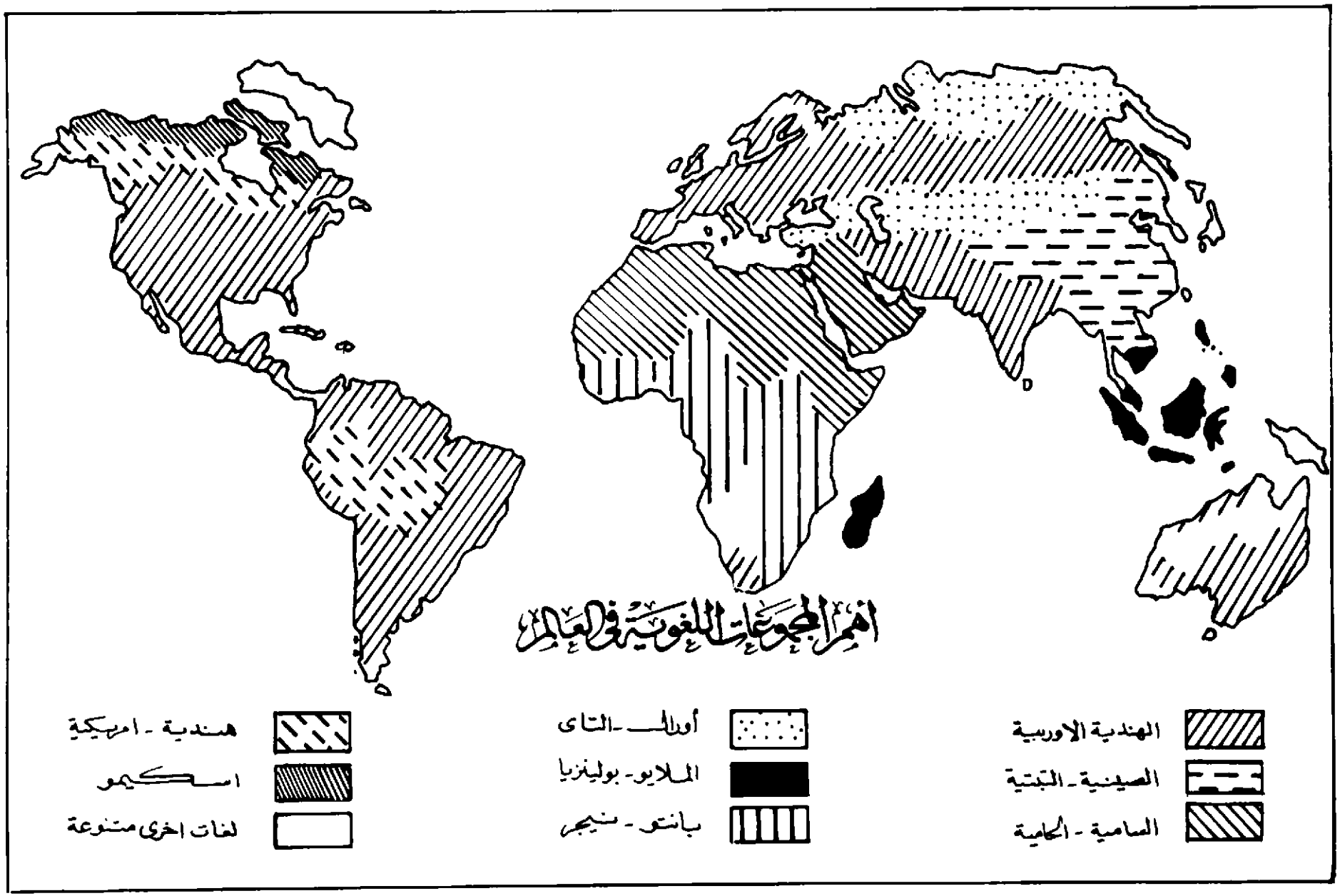
أهم المجموعات اللغوية في العالم
الهندية الاوربية
الصينية - التبتية
السامية - الحامية
أورالي - التاي
الملايو - بولينزيا
بانتو - نيجر
هندية - امريكية
اسكيمو
لغات اخرى متنوعة

شكل (١)

١ ـ العائلة الهندية الأوروبية Indo – European ويتحدث بلغاتها ثلث سكان العالم ، وأهم اللغات التي تنتمي اليها : الانجليزية ، الهندية ـ الاسبانية ـ الروسية ـ البنغالية ـ البرتغالية ـ الالمانية ـ الفرنسية ـ الايطالية ·

٢ ـ مجموعة اللغات الصينية ـ التبتية Sino-Tibetan وأهم لغاتها : الصينية والكانتونية Cantonese ، والوو Wu · وغيرها . ويتحدث بهذه اللغات ٧٠٠ مليون نسمة أي ما يقرب من ١٧٪ من سكان العالم ·

٣ ـ مجموعة اللغات الحامية ـ السامية Hamito-Semitic يرى كثير من الباحثين أن مجموعة اللغات الحامية كانت ترتبط بمجموعة اللغات السامية منذ ما قبل التاريخ بحيث تبدوان في رأي بعض علماء السلالات اللغوية كمجموعة واحدة ذات فرعين متميزين · وأهم اللغات التي تضمها المجموعة السامية : العربية ، والعبرية ، والامهرية ، أما أهم اللغات الحامية فهي : الصومالية ، ولغة الجالا ، ولغات البربر في شمال افريقيا ، وهناك مجموعات لغوية أخرى مثل : الاسترونسية Austronesian وتنتشر في اندونيسيا والجزر المجاورة ، ومجموعة اللغات الدرافيدية Dravidian وتشمل لغة التاميل Tamil ـ والتلجو والكنادا Kannada ، ومجموعة لغات البانتو ، ومجموعة لغات الاسكيمو ·

ولما كانت اللغة العربية ـ محور بحثنا ـ تنتمي الىمجموعة اللغات السامية، فاننا سوف نتناول هذه المجموعة بشيء من التفصيل الذي يتلاءم وموضوع البحث ·

اللغة العربية بين مجموعة اللغات السامية :

توصل ابن حزم (٤) في القرن الحادي عشر الميلادي الى أن اللغات أسر كالبشر ووضح ذلك قائلا : ان الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر لا لغة حمير ، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث فيها جرش (احتكاك) · ولقد استخدم العلامة النمساوي شلوتزر Schlozer سنة ١٧٨١م لاول مرة اسم الشعوب السامية ، كما شاركه في تسمية لغات هذه الشعوب باللغات السامية ايكهورن Eichhorn في أواخر القرن الثامن عشر الميلادي ، أي اللغات العربية والعبرية والارامية وغيرها ·

ومصدر لفظ السامية نسبة الى سام الذي ورد ذكره في الاصحاح العاشر من سفر التكوين في التوراة ، وهو اصحاح يسجل الصلات والعلاقات بين الشعوب المختلفة في صورة أنساب تنحدر من أبناء نوح ٠

ويرى اسرائيل ولفنسون (٥) (أبو ذؤيب) أن أول من تنبه الى العلاقة بين الامم السامية هم علماء اليهود الذين كانوا في الاندلس في القرون الوسطى ٠

ولقد تصدى كثير من الباحثين العرب لنظرية « السامية » وأعلنوا رفضها لانها ترتبط بالدعوة الصيهونية التلمودية في العصر الحديث ، تلك الدعوة التي تهدف الى اتخاذ العهد القديم أساسا لتاريخ اللغات والاجناس مما جرت عليه عادة الباحثين الغربيين وتابعيهم دعاة التغريب والمبشرين والمستشرقين دون تدبر أو اعتبار للحقائق التاريخية (٦) ٠

ويميل هؤلاء الباحثون العرب الذين يرفضون نظرية السامية الى أن هناك مجموعة من اللغات المتشابهة مثل الكلدانية والآشورية والفينيقية كانت تسود بلاد العراق وبلاد الشام ، وكانت هذه اللغات متشابهة بحيث يمكن اعتبارها لهجات لغة واحدة هي اللغة القديمة التي تفرعت الى هذه اللغات فيما بعد ، ودليلهم على ذلك أن سيدنا ابراهيم الخليل عليه السلام استطاع أن يتنقل بين العراق والشام ومصر والحجاز وأن يتفاهم مع جميع سكان تلك الاقطار ، مما يشير الى أنه لم يكن يومئذ بين لغات هذه الاقطار من فرق الا كما يوجد الان بين لهجات العربية في المغرب ومصر والشام والعراق وسائر هذه البلاد (٧) ٠

ويرى علماء اللغة الاوروبيون ومن شايعهم أن هذه اللغة القديمة التي كانت منتشرة في بلاد العراق وبلاد الشام والجزيرة العربية هي اللغة السامية الأم (٨) ، التي يطلق عليها بالالمانية Ur Semitisch وما زال البحث مستمرا لمعرفة أقرب اللغات السامية الى هذه اللغة السامية الأم التي تحدث بها أحفاد سام بن نوح (شكل ٢) ٠

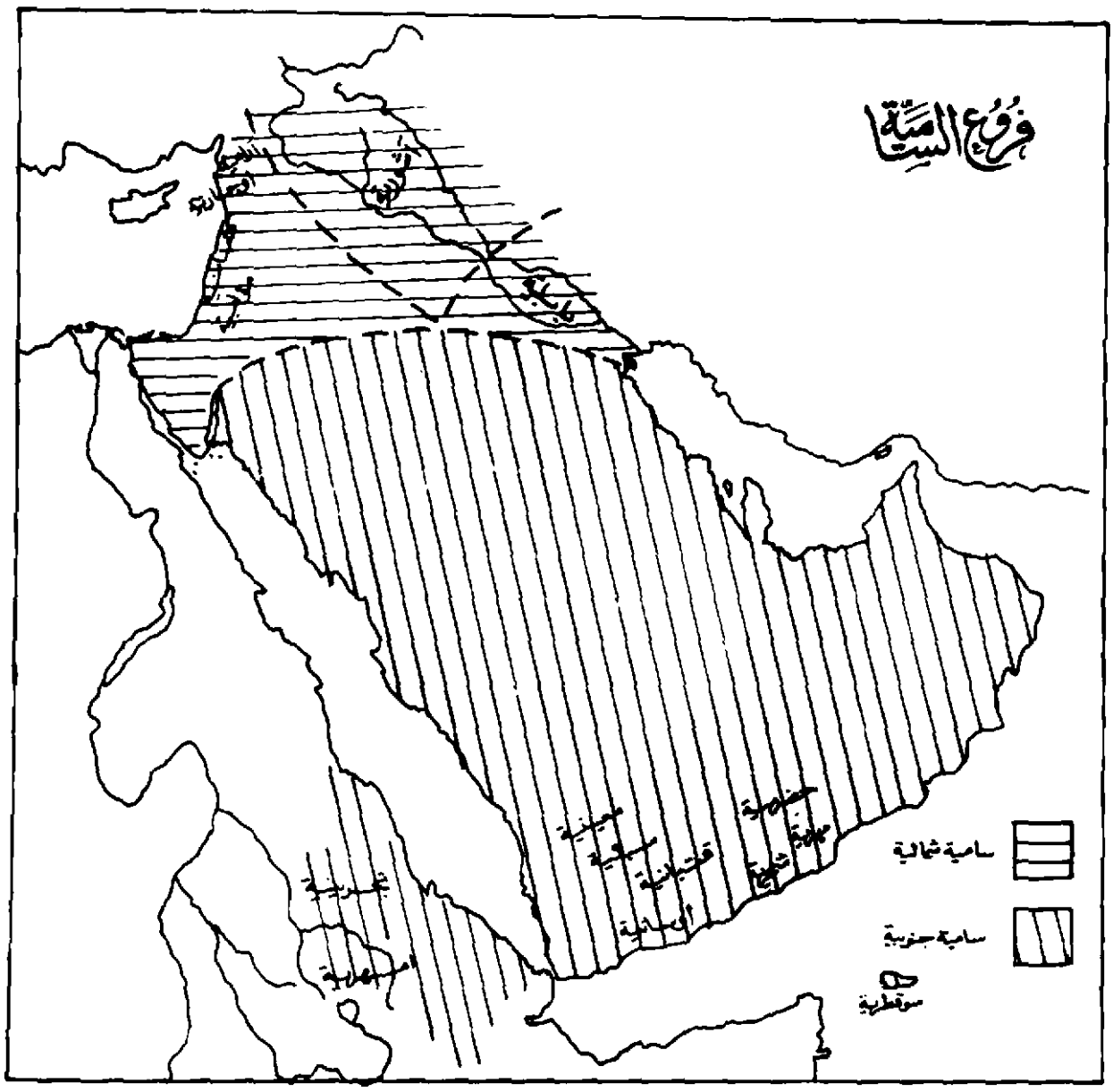

شكل (٢)

ويقسم العلماء اللغات السامية جغرافيا الى قسمين على النحو التالى :

١ ـ اللغات السامية الشمالية وتنقسم الى :

أ ـ لغات شرقية وتشمل الاكدية (البابلية ـ الاشورية) وكانت تنتشر في العراق في الألف الثالثة قبل الميلاد ٠

ب ـ لغات غربية وتشمل الكنعانية في فلسطين وسوريا وتتفرع الى العبرية والفينيقية (القرن العاشر قبل الميلاد) ٠ والمؤابية شرقي الاردن ٠ والاوجارتيه شمال اللاذقية في القرن التاسع عشر قبل الميلاد ٠ ومن اللغات السامية الشمالية الغربية أيضا الآرامية في شمال سوريا ٠

٢ ـ اللغات السامية الجنوبية وتتفرع الى :

أ ـ العربية الجنوبية وتشمل : السبئية ، والمعينية ، والقتبانية والحضرمية والأوسانية وكانت هذه اللغات شائعة في الفترة من القرن الثامن قبل الميلاد الى السادس الميلادي ٠

ب ـ المهرية والشحرية والسوقطرية وهي لغات غير عربية وما زالت بعض ألفاظها تتردد في بعض أنحاء الجزيرة العربية ٠

جـ ـ الحبشية وتشمل الأثيوبية أو الجعزية وهي اللغة المقدسة في الحبشة ، والامهرية وهي اللغة الرسمية والتجرينية وهي لغة الحديث في الأجزاء الشمالية من أثيوبيا ٠ وتتشابه اللغات السامية في خصائصها حيث تتميز معظم هذه اللغات بأن الحركات القصيرة لا تكتب فيها ، أما حركات المد الطويلة فتستعمل لها الألف والواو والياء ٠ واللغات السامية غنية بالحروف الصامتة ، وتتشابه كذلك في الأصوات الى حد كبير ، كما تشترك في عدد كبير من المفردات الأساسية مثل الكلمات التي تدل على أفراد الاسرة ، أو التي تدل على أعضاء الجسم ، وأسماء الحيوانات ، وأسماء بعض الغلات الزراعية ٠

ومن أهم السمات الاخرى التي تميز اللغات السامية أن صيغها تقوم على نظام الجذور وهي في معظمها ثلاثة حروف تكتسب منها الكلمة معناها ، ولا يمكن تفسير هذا التشابه أو التقارب الا بالافتراض بأن هناك أصلا مشتركا لهذه اللغات فتفرغت منه ثم باعد بينها الزمان والمكان ٠

أين نشأت الساميه الأصلية :

لما تبين العلماء تلك الصلة الظاهرة بين جميع اللغات السامية استنتجوا بأن جميع هذه اللغات ترجع الى أصل واحد ٠ وأن هذا الأصل اللغوي المشترك كان منتشرا في منطقة واسعة الاطراف ، ثم تفرع عن هـذا الأصل لهجـات مختلفـة انتشرت في بلاد شتى وهاجر بعضها من مهده الاصلي ، ثم بدأت تأثيرات البيئة فـي ألسنة المهاجرين ، فأخذت المخالفة تبرز وتنمو حتى أصبحت تلك اللهجـات مغايرة للاصل تماما وأضحت وكان كلا منها لغة مستقلـة ٠ على أننـا لو أخذنـا بصحة الاصل الواحد للغات السامية فأين كان مهد الساميـة الأصلية ؟ الحق يقال ،ان هذا الامر مشكلة دقيقة لم تحسم ولم يستقر الرأي فيها على مكان يرتضيـه الجميع ٠ وان اتفقت هذه الآراء المتنازعة على أن مهد الساميين الاول مكان مـا بالشرق الاوسط لكن الاقوال تختلف والآراء تتباين ، ومع ذلك فان وجهات نظر علماء اللغات تتركز حول نظريات خمس كمهد للساميين (٩) ٠ (شكل ٣) ٠

الاولى : ان الساميين ظهروا في شبه الجزيرة العربية ٠

الثانية : شمال افريقيا ٠

الثالثة : شمال سوريا ٠

الرابعة : جنوب العراق ٠

الخامسة : جزر البحر المتوسط ٠

وللتوراة نظرية خاصة عن أقدم ناحية عمرها بنو نوح وهي أرض بابل ، وقد أيد العالم جويدى (١٠) Guidi هذه النظرية في رسالة يقول فيها : ان المهد الأصلي للأمم السامية كان جنوب العراق على نهر الفرات ٠ ويحاول جويدى أن يؤيد رأيه هذا بقوله ان أغلب الكلمات التي تدل على السهول والمياه والنبـات مشتركة بين اللغات السامية مما يدل على أن هذه اللغات نبتت في مناطق سهلية غزيرة المياه وكثيفة النباتات ، وارتأى أن تلك المنطقة لا بد وأن تكون العراق فهي بذلك مهد الساميين والسامية ٠٠

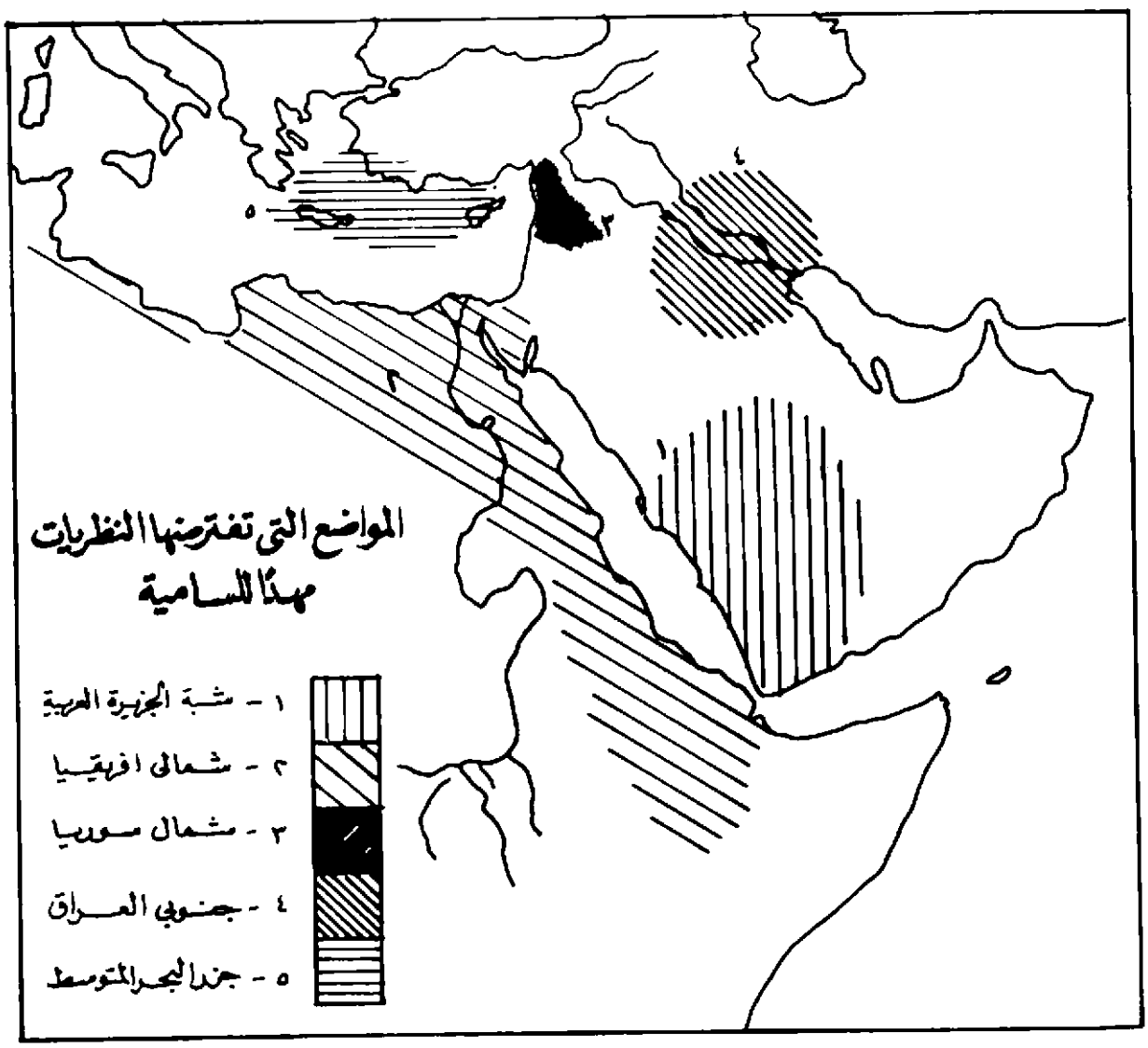
المواضع التى تفترضها النظريات
مهدًا للسامية
١ - شبة الجزيرة العربية
٢ - شمالى افريقيا
٣ - شمال سوريا
٤ - جنوبى العراق
٥ - جزر البحر المتوسط

شكل (٣)

لكن الاعتراض الذي يستطيع أي فرد أن يوجهه الى رأي هذا المستشرق الايطالى هو أن الظروف السائدة الان من جفاف أو أمطار لم تكن بنفس الصورة الحالية يوم أن نشأت السامية ، ولو فرضنا جدلا أن الظروف الحالية كانت سائدة فلماذا يترك الانسان العراق الخصيب بمياهه ونباتاته ويهاجر الى أعماق شبه الجزيرة العربية بأحقافها ونفودها وجفافها !

أما آرنست رينان Ernest Renan وبروكلمان Brockelmann فيرجحان أن الموطن الأول للساميين هو القسم الجنوبي الغربي من شبه الجزيرة العربية ·

ويرى سبرنجر Sprenger أن أواسط الجزيرة العربية ، ولا سيما منطقة نجد هي المكان الذي يجب أن يكون فيه موطن الساميين ، والمخزن الذي مون العالم بابناء سام ·

أما بالنسبة للكيفية التي انتشرت بها اللغات السامية فقد بدت لبعض علمائها (١١) فكرة مؤداها أن الجزيرة العربية كانت في حقب متعاقبة تبلغ الواحدة منها ألف سنة تقريبا تزدحم بالسكان كخزان هائل ضاق بمن فيه فلم يجد محيصا عن افاضة ما يزيد على سعته وتصريفه عن طريق الهجرات المتعاقبة التي عرفت بالموجات ·

ويرى بعض الباحثين أن اللغة العربية هي أنسب اللغات السامية الباقية للدراسة وللبحث ، لانها لم تختلط كثيرا باللغات الاخرى وبقيت في مواطنها المعزولة في شبه الجزيرة العربية صافية الى حد كبير ، ولم تتعرض لمثل ما تعرضت له اللغات الاخرى · ويرى العلامة ألسهوزن Olshausen أن العربية أقدم اللغات السامية ، الا أن هذا الرأي يجد معارضة لا يستهان بها ·

ولم يكن انتشار العربية وسيادتها في وطننا العربي أمرا ميسورا بل انها خاضت صراعات طويلة ، تحالفت أول الأمر مع شقيقاتها الساميات للقضاء على بعض اللغات الحامية القديمة ثم قضت على الاكدية في بداية القرن الرابع ق·م ، وتغلبت على الفينيقية في القرن الاول · ويشير الباحثون (١٢) الى أن اللغة اليمنية قد اندمجت في اللغة العربية بعد انهيار سد مأرب سنة ١١٥ق·م ، اذ أن انهيار هذا السد قد ادى الى هجرة اليمنيين الى منطقة مكة والمدينة واختلاطهم بالعدنانيين· وكانت لغة هؤلاء المهاجرين هي السبئية والحميرية اللتين اندمجتا وتفاعلتا مع لغة العدنانيين على مدى أكثر من خمسة قرون . ثم تكونت من هذا التفاعل لغة

واحدة هي لغة القرآن · وكانت اللغة الآرامية خصما عنيدا أمام العربية لانها كانت لغة السيد المسيح وأمه ، ولما ضاقت العربية ذرعا بصمودها اقتحمت عليها معاقلها في الشرق والغرب وانتزعتها معقلا معقلا حتى هجرتها الألسنة ابتداء من القرن الثامن الميلادي · وما زالت كلمات سامية كثيرة من تلك اللغات المقهورة أسيرة في لغتنا العربية ومقيدة في معاجمنا ·

ويجب أن نعرف أن عربية الشعر الجاهلي ليست أقدم أطوار العربية بل هناك (الثمودية) التي ترجع نقوشها الى ما بين القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وقد وجدت هذه النقوش في شمالي الجزيرة ووسطها · و (اللحيانية) التي ترجع كذلك الى القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد وقد عثر على نقوشها في منطقة العلا بالحجاز ، و (الصفوية) (١٣) التي ترجع نقوشها الى الفترة الممتدة ما بين القرن الأول (ق·م) والقرن الرابع الميلادي ، وقد عثر على النقوش الصفوية في جنوب وجنوب شرقي دمشق ، فالثمودية واللحيانية والصفوية أسلاف العربية الفصحى (١٤) · وتتشابه نقوش الثمودية وشقيقتيها اللحيانية والصفوية مع النقوش العربية الجنوبية القديمة من (سبئية) و (معينه) · ولعل أقدم نص للعربية بالخط النبطي الآرامي هو ذلك الذي وجد منقوشا على قبر في أطلال النمارة في حوران يرجع في تاريخه الى قبل ظهور الاسلام بثلاثة قرون (١٥) · ويظهر الخط العربي (مشتق من الخط النبطي) بعد ذلك في ثلاثة نقوش عربية ترجع الى القرن السادس الميلادي ، أقدمها نقش زَبَد (جنوب شرقي حلب ويرجع الى سنة ٥١٣م) ، أما النقشان الآخران فأحدهما نقش حران (جنوبي دمشق) ويرجع الى سنة ٥٦٨م ، والآخر نقش أم الجمال جنوبي بصرى ويرجع الى نفس الفترة (١٦) ·

وبناء على ما ذكرنا نجد أن للغة العربية تاريخا طويلا تبدأ جذوره من القرن الخامس قبل الميلاد اذا ما اعتمدنا على النقوش الثمودية التي عثر عليها ·

من أين استمدت لغتنا العربية اسمها ؟

ان الاجابة التقليدية عن هذا السؤال هي أن المتحدثين بها هم العرب ، ولكن هذه الاجابة لا تكفي بل يظل التساؤل مطروحا بصيغة أخرى ومن أين اكتسب العرب اسمهم ؟

لقد مضى على العرب نحو تسعة وعشرين قرنا وهم معروفون بهذا الاسم الذي يطلقونه على أنفسهم كما يطلقه عليهم الاخرون ، ولا يزال الغموض يحجب عنا الأصل الاكيد للتسمية وتاريخ اطلاقها ·

ربما يكون أقدم نص يشير الى العرب هو ذلك النص الذي ورد في الفصل العاشر من سفر التكوين الذي تناول أسماء الأقوام والاماكن في الجزيرة العربية (١٧) ٠

ويذكر المستشرقون (١٨) الذين تتبعوا كلمة عرب في اللغات السامية أن أول نقش ورد فيه اسم العرب هو نقش من أيام الملك « شلمنصر الثالث » ملك آشور في القرن التاسع قبل الميلاد (٨٥٣ ق٠م) وكان المقصود بكلمة عرب آنذاك بداوة أو امارة أو مشيخة تحكم في البادية المتاخمة للحدود الآشورية ٠

وقد وردت في كتابات البابليين جملة « ماتو أرابي Matu-A-Rabi »، وتعني كلمة ماتو في البابلية «أرض» فيكون المعنى أرض عرب ٠ وكان يقصد بذلك ، الارض التي تمتد من غربي نهر الفرات حتى تخوم الشام ٠ وقد ورد ذكر العرب في الكتب اليونانية ، وأول من ذكرهم « أخيلوس » ٥٢٥ـ٤٥٦ ق٠م ، ثم تلاه هيرودوت الذي أطلق لفظه Atabea على بلاد العرب وشبه جزيرة سيناء وضم الى ذلك الأراضي الواقعة الى الشرق من النيل ٠ وحينما نحاول التعرف على أصل كلمة « العرب » يصادفنا كثير من التفسيرات ، هل التسمية من العرابة (١٩) بمعنى الجفاف أو الصحراء في لغة بعض الساميين الشماليين ؟ هل اشتق الاسم من الاعراب(٢٠) وهو الابانه ؟ هل اطلق الاسم نسبة الى يعرب(٢١) بن قحطان الذي يقال عنه انه أول من أعرب في لسانه وتكلم بهذا اللسان العربي ؟ هل اسم العرب نسبة الى « عربة » من أرض تهامة كما يقول ياقوت الحموي ؟ ان كل من سكن الجزيرة العربية ونطق بلسان أهلها من العرب ، سموا عربا باسم بلدهم العربات ٠

وهناك رأي يقول (٢٢) : لم تكن كلمة « عَرَب أو عُرْب » تدل على مدلولها المتعارف عليه الآن بل كانت تطلق على نوع خاص من القبائل وهو النوع الذي يسكن البادية ذلك النوع المتنقل الذي لا يستقر في مكان واحد بل يتتبع مساقط الغيث ومنابت الأعشاب والكلأ ٠ وهناك رواية تقول ان العرب سموا بهذا الاسم لانهم نزلوا الى الغرب من منازل أمة غيرهم ، وان هذه الامة كان حرف العين يحل فيها محل حرف الغين فاصبحت غرب هي عرب ، ومن ذلك (عرب) العبرانية أي أرض الغروب وفيها « عرب » أي قصد الغرب لأنهم ارتحلوا عن الوطن الاصلي غربا ٠

ويذكر «ولفنسون» أن كلمة عرب كانت مستعملة في العبرية القديمة لتدل على أهل « العربة » وهي الصحراء ٠ ويذكر أن عرب من « عَرَبَ » العبرانية بمعنى خلط « شعب ممزوج من نسل قحطان واسماعيل ومدين والكوشيين » ٠

وهناك من يرى أن هذه الكلمة محورة عن كلمة « عابر » العبرية ومعناها التجول والترحال ، واستعمل لفظ « عرب » في الكتابات العربية لاول مرة في نقوش جنوب غربي الجزيرة العربية للدلالة على البدو الذين كانوا يهددون باغاراتهم حدود الدويلات العربية ذات الحضارات المزدهرة المستقرة التي انشأها الجنوبيون (٢٣) ٠

وقال أبو تراب اسحق بن الفرج (اللسان) « عربة » باحة العرب ، وباحة دار أبي الفصاحة اسماعيل ٠

بعد أن استعرضنا أصل العربية مهدا واسما ، يطيب لنا أن نلقي نظرة على البيئة الجغرافية التي نمت في أحضانها العربية ثم نتتبع أثر تلك البيئة الجغرافية في اللغة ٠

آثار البيئة الجغرافية في اللغة العربية :

اللغة وليدة سلوك انساني في اطار بيئة جغرافية ، وهذا السلوك الانساني يتخذ من الأصوات رموزا تتفق الجماعة على دلالتها حتى يتيسر لها معايشة ظروف بيئتها الجغرافية واللغة بذلك ظاهرة بشرية مكتسبة تدين بميلادها واستمرار وجودها للحياة الاجتماعية ، والانسان من حيث اللغة وليد بيئته وحدها ، فاذا ربى طفل في أي بيئة نشأ من حيث اللغة كأي فرد في هذه البيئة (٢٤) ٠

ولما كانت اللغة ترتبط بالحياة الاجتماعية التي تنشأ بدورها في مكان معين فان كثيرا من الظواهر اللغوية ترجع في أسبابها الى ظواهر جغرافية تاريخية ، وجميع مظاهر البيئة من خصائص جغرافية طبيعية وبشرية تترك بصماتها واضحة في اللغة وقد أشار هردر (٢٥) Herder الى أن اللغة بمثابة مستودع لكل ما للشعب من ذخائر الفكر والتقليد والتاريخ والفلسفة والدين ، ان قلب الشعب ينبض في لغته ، ان روح الشعب تكمن في لغة الآباء والاجداد ٠

ان من يدرس اللغات المختلفة يلمس فروقا واضحة حيث تتباين اللغات في مفرداتها تبعا لظروف بيئاتها المختلفة ، وتتعدد في كل لغة التعبيرات والمفردات التي تصف مظاهر البيئة سواء أكانت منطقة حارة أو باردة ، منطقة سهلية أو جبلية ٠

ويستطيع الباحث أن يتعرف على البيئة الأصلية التي نشأت فيها أية لغة على ضوء مفردات تلك اللغة ، فاذا كانت تلك المفردات غزيرة في ناحية من

النواحي دل ذلك على أهمية تلك الناحية في البيئة التي نشأت فيها تلك اللغة وان قلت المفردات أو انعدمت في جانب من الجوانب دل ذلك على عدم أهمية هذا الجانب وهكذا ٠

ولقد نشأت لغتنا العربية على الأرجح في شبه الجزيرة العربية ، ولقد أصاب القدماء الذين أطلقوا عليها جزيرة العرب فهي وان أحيطت بالماء من شرقها وغربها وجنوبها فان بحار الرمال تحيطها من الشمال حيث تعرف بالنفود وهي قفار متسعة ذات رمال بيضاء تسفيها الرياح وتعبث بها فتجعلها كثبانا وتلالا ٠

وتغطي شبه الجزيرة العربية مساحة تقرب من ربع مساحة أوروبا وتحتضنها ذراعان مائيتان هما الخليج العربي شرقا والبحر الاحمر غربا وبين هاتين الذراعين تمتد السهول والتلال والرمال لمسافة ألف ميل ٠ أما امتدادها ما بين الجنوب ، حيث تداعب مياه البحر العربي سواحلها ، الى الشمال عند أطراف الخصيب فيصل الى ألفين ومائتي ميل ٠

وأهم ما نلاحظه على موقع شبه الجزيرة العربية هو عامل العزلة ، ولقد أثرت عزلة الجزيرة العربية تأثيرا بالغا في اللغة العربية اذ حفظتها من غزو الألفاظ الأعجمية الى حد ما ٠

ولقد ذهب الباحثون والمستشرقون وغيرهم الى أن اللغة العربية هي أقرب مجموعة اللغات السامية الى النقاوة ٠

ولو تتبعنا الكلمات الأعجمية التي استوطنت اللغة العربية وتزيت بزيها لوجدناها نسبة ضئيلة تعكس أثر عزلة الجزيرة العربية ، ولقد تمكن الأب رفائيل نخله اليسوعي في كتابه غرائب العربية من جمع ٢٥٠٣ كلمة قال انها تؤلف أكثر الألفاظ الدخيلة في العربية من مختلف اللغات الأعجمية ٠٠ فلو فرضنا أن كلمات المعجم مائة ألف كلمة لكانت نسبة الأعجمية مجرد ٥ر٢٪ أما النسبة الباقية ٥ر٩٧٪ فتمثل العربية ٠

ويتضح نقاء اللغة العربية اذا ما قورنت بالفرنسية ٠ فلقد أكد باحث لغوي محدث (٢٦) أنه بعد أن فحص معجما فرنسيا اشتمل على ٤٦٢٥ كلمة تبين له أن عدد الكلمات التي ترجع لأصل لاتيني هو ٢٠٢٨ كلمة أي بنسبة ٤٥٪ فقط من جملة عدد الكلمات ولا يخفى علينا أن اللاتينية هي المصدر الأصيل الذي اشتقت منه الفرنسية ، وأوضحت نتيجة الفحص كذلك أن ٩٢٥ كلمة من أصل يوناني ، ٦٠٤ من الالمانية ، ٢٨٥ من الايطالية ، ١٥٤ كلمة من الانجليزية ، ١٤٦

من العربية ، ١١٩ من الاسبانية ، ٩٦ من الكلتية والباقي من لغات أخرى مختلفة، وهكذا تبدو اللغة الفرنسية وكأنها منتخب دولى من كلمات شعوب العالم اذ أن الكلمات الدخيلة تصل نسبتها الى ٥٥٪ أي تزيد على نسبة الاصل اللاتيني ٠

ولقد أثر الموقع مرة أخرى في اللغة العربية وذلك بتحديد جيرانها . فالفارسية تقع الى الشرق منالجزيرة العربية والآرامية على اختلاف لهجاتها تسود فلسطين وسوريا ، واللغة الحبشية ولغة بلاد العرب الجنوبية تجاوران العربية من الجنوب ٠

واللغة العربية لا تشذ عن سائر اللغات الانسانية فهي جميعا تتبادل التأثر والتأثير وتصدر الكلمات والألفاظ وتستوردها متى تجاورت او اتصلت، واقتراض بعض اللغات من بعض ظاهرة بشرية وقانون اجتماعي انساني ٠

ويقال بالاجمال ان العرب اقتبسوا من لغة الفرس اكثر مما اقتبسوا من سواها ولذلك رأينا بعض أئمة اللغة اذا أشكل عليه أصل بعض الألفاظ الأعجمية عدها فارسية (٢٧) ٠ وترجع كثرة الاقتباس من اللغة الفارسية الى مجاورتها للجزيرة العربية وسهولة الاتصال ٠ ومن أمثلة ما ذكره صاحب المزهر من الألفاظ الفارسية « ابريق ـ بللور ـ كوز ـ فلفل ـ وماهية ـ وشيشة » ، ومن الألفاظ الفارسية الاخرى التي يظنها كثير من الناس عربية « بستان » من « بو » رائحة ، و « ستان » مكان و « ميدان » من « مي » خمر ، و « دان » للدلالة على المكان حيث كانت الخمر في مدن الفرس القدماء تشرب في الساحات العامة ٠

وقد دخلت العربية بعض الألفاظ الحبشية مثل المشكاة ، و « برهان » وتعني النور في الحبشية ٠ وتأثرت العربية كذلك بالآرامية التي كانت تجاور العربية من الشمال ومن الألفاظ الآرامية التي دخلت العربية جهنم وأصلها الآرامي : جيهنام ، وسكين ، وبالوعة ، ولقد كانت الأرامية وسيطا ساعد على دخول بعض الألفاظ اللاتينية الى العربية مثل الصراط (٢٨) والقنطار والقنطرة ٠٠ اذ أن هذه الألفاظ دخلت اليونانية ثم أخذتها الآرامية ونقلها العرب عن الآراميين ٠

ومن آثار الموقع والعزلة تعدد اللهجات في اللغة العربية ، واللهجة هي مجموعة من الصفات اللغوية تنتمي الى بيئة خاصة وبيئة اللهجة هي جزء من بيئة أوسع وأشمل تضم عدة لهجات وتلك البيئة الشاملة اصطلح على تسميتها باللغة٠

ولقد تكونت اللهجات في اللغة العربية نتيجة الانعزال والانفصال وقلة الاحتكاك بين القبائل الرعوية التي لا تكاد تستقر فيؤدي ذلك الى تشعب اللغة الى مجاميع صغيرة من البيئات اللغوية ٠

وقد تميزت لهجة قريش وانفردت بخصائص أتاحت لها أن تحفظ شخصيتها وأن تسمو على سائر اللهجات ، فبعدها الذي وصفه ابن خلدون عن بلاد العجم من جميع جهاتها كان حاجزا طبيعيا حال دون كثرة اتصالها بالأجانب فلم يداخلها من لكنة الأعاجم ما داخل القبائل المتطرفة التي كانت على اتصال وثيق بمن حولها من غير العرب ٠ ولحسن ظاظا أستاذ العلوم اللغوية بجامعة الرياض رأي في موضوع عزلة قريش ونقاء لهجتها ، اذ أنه يرى أن عزلة قريش لم تكن عزلة جغرافية في الجاهلية ، وانما هي عزلة دينية أدت الى محافظة شديدة على لغة الأسلاف الذين رفعوا القواعد من البيت ، لأن قريشا كانت تتولى حماية هذا البيت وسدانته ، وكانت تعول على الحج اليه من الناحية الاقتصادية ، الى جانب التجارة فكان لا بد أن تقف من العرب هذا الموقف اللغوى وهو ، رفض التطور العنيف للغة القديمة المقدسة ٠ ولقد أكد الفراء (٢٩) (يحيى بن زياد) صفاء لغة قريش وأوضح أسرار ذلك الصفاء بقوله « كانت العرب تحضر الموسم في كل عام ، وتحج البيت في الجاهلية ، وقريش يسمعون لغات العرب فما استحسنوه من لغاتهم تكلموا به ، فصاروا أفصح العرب ، وخلت لغتهم من مستبشع اللغات ومستقبح الالفاظ » ٠

وقد سأل معاوية يوما : من أفصح الناس ؟ فقال قائل قوم ارتفعوا عن لخلخانية الفرات ، وتيامنوا عن كشكشة تميم ، وتياسروا عن كسكسة بكر ، ليست لهم عجعجة قضاعة ولا طمطماتية « حمير » قال معاوية من هم ؟ قال المتكلم هم قريش (٣٠)

ولقد أثر الموقع مرة أخرى في نشاط سكان شبه الجزيرة العربية ، اذ أن موقع الحجاز بين الشام واليمن ، وكونه ممرا واستراحة للقوافل التي كانت تروح وتجيء بالبضائع بين الجنوب والشمال في الشتاء والصيف ، جعلهم يهتمون بالتجارة اهتماما بالغا ٠ والتجارة بين الشرق والغرب ضرورة فرضها اختلاف المناخ بين أقطار الشرق الهندي والغرب الأوروبي وبالتالى اختلاف الغلات مما أدى الى حاجة كل منها الى منتجات الآخر كما قال الهمداني (٣١) : لولا أن الله عز وجل خص بلطفه كل بلد من البلدان بشيء منعه غيرهم ، لبطلت التجارة وذهبت الصناعات ، ولما تغرب أحد ولا سافر ٠٠٠ وذهب الشراء والبيع والأخذ والعطاء ٠ الا أن الله أعطى كل صقع في كل حين نوعا من الخيرات ومنع الآخرين ليسافر هذا الى بلد هذا ويستمتع قوم بأمتعة قوم ليعتدلالقسم وينتظم التدبير»٠

لقد استثمر العرب موقع بلادهم الهام فاشتغل كثير منهم بالتجارة مارسوها رجالا ونساء ، خاصة الذين أشرفت بلادهم على طرق التجارة · ولم يغال استرابو (٣٢) حين قال « العرب تجار وسماسرة ، وقوم تجارة وبيع وشراء » ، اذ أن من لم يتاجر من العرب أفاد من التجارة بطريقة غير مباشرة ، فعمل دليلا للقوافل ، أو حارسا من الذين يؤجرون أنفسهم وسلاحهم لحمايتها ·

ولقد شغف العرب بالتجارة ، واستمر هذا الشغف حتى بعد ظهور الاسلام وخير دليل على ولوع العرب بالتجارة « آية الجمعة » وما تحكيه ·

ومن آثار التجارة في لغة العرب ، غنى هذه اللغة بألفاظ الاسفار ونزول الماء ووصف دواب السفر ، ويشهد بذلك أن أكثر مطالع القصائد في الجاهلية وبداية الاسلام يبدأ الشاعر فيها بذكر رحلته وما لاقى فيها من العناء والشقاء · وقد مدح العرب الغربة والاغتراب · وحينما أشرقت الدعوة الاسلامية شجعت المسلمين على طلب الرزق أينما كان ، قال تعالى : هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه (٣٣) ·

وقال صلى الله عليه وسلم : البلاد بلاد الله والعباد عباد الله فحيث ما أصبت خيرا فأقم (٣٤) ·

وحينما سأل الحارث بن الحباب أي البلاد أحب اليك قال ما حسنت فيه حالى وعرض فيه جاهي ثم أنشأ يقول (٣٥) :

فلا كوفة أمي ولا بصرة أبي
ولا أنا يثنيني عن الرحلة الكسل

وقال آخر :

واذا الديار تنكرت عن حالها
فدع الديار وأسرع التحويلا
ليس المقام عليك فرضا لازما
في بلدة تدع العزيز ذليلا

ومن أمثلة العرب التي ترغب في السفر والطواف :

« كلب طواف خير من أسد رابض »

وحينما بدأ نظام الخلافة عند العرب لم يجدوا أنسب من لفظ « المبايعة » للدلالة على بذل الطاعة للخليفة ، وغير خاف عنا أن كلمة المبايعة من كلمات التجارة · وكان نتيجة اشتغال العرب بالتجارة مع من جاورهم أن دخلت لغتهم ألفاظ كثيرة معظمها أسماء للبضائع التي يجلبها التجار من بلاد الفرس ، ويذكر الباحثون من هذه الكلمات الفارسية «الفيل ـ الجاموس ـ الديباج ـ الاستبرق»·

ومن الكلمات اليونانية «درهم ـ دكان ـ دينار ـ زبرجد ـ فرصة ـ فندق ـ قارب ـ كيس ـ لص » ·

ومما لا ريب فيه أن اختلاط القوافل والتجار بالعرب قد أدى الى تسرب كثير من الكلمات الأعجمية الى اللغة العربية ·

ونظرا لأهمية التجارة في حياة العرب فقد جاء الاسلوب القرآني مشوقا لهم من هذه الناحية ·

انظر الى قوله تعالى : « هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم » ·

وقوله تعالى : « أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين » ·

ولما كان الأمن عاملا هاما في تشجيع التجارة وانتظامها ، جعل العرب أكبر أسواقهم في الأشهر الحرم وهي (رجب ـ ذو القعدة ـ ذو الحجة ـ المحرم) وكان أعظم العار أن يتعدى المرء حدود الشهر الحرام والبلد الحرام ··) ولهذا اطلقت العرب على حروب قريش وهوازن في عكاظ « حروب الفجار » لفجورهم باقتتالهم في الشهر الحرام ، ولقد احترم معظم العرب قريشا لمكانهم من الكعبة وكان العرب أرعى لحرمة الحرم منها لحرمة الشهر وأحسن القرشيون استغلال هذه المكانة ، فضربوا في جزيرة العرب شمالا وجنوبا متاجرين في ظل الأمن وكانوا يسيطرون على أسواق («عكاظ» ، ومجنة ، وذو المجاز) وهي الاسواق الثلاث الكبرى ·

وكان الناس يغشون الأسواق (٣٦) لمآرب شتى منها : الشراء والبيع والتفاخر ، وطلب الأمن ، وقد وصف بعض المستشرقين هذه الأسواق بأنها كانت كاحتفالات الأعياد الأولمبية التي ابتكرها اليونانيون القدماء ·

ولقد ساعد أشراف قريش على سوق عكاظ (٣٧) سنوات طويلة على أن تكون لغتها ولهجتها هي اللهجة الرسمية بين أطراف الجزيرة العربية ، لان القبائل تأتي اليها بشعرائها وخطبائها فتختار ما يروق لها وما تصطفيه من ألفاظ

وعبارات حتى استخلصت تلك اللغة الممتازة التي كانت أداة مناظرات ومساجلات رواد عكاظ اذ نه لا يتصور أن تتم هذه اللقاءات الادبية الا من خلال لغة يفهمها الجميع ٠

ولعل أعظم آثار الاسواق قبل البعثة المحمدية هو هذا التوحيد اللغوى الذي قام على أساس انتقاء الألفاظ والاساليب ٠

ومن العوامل الاخرى التي ساعدت على اشاعة لهجة قريش بين العرب وجعلها نواة الوحدة اللغوية للعرب قبل الاسلام وجود الكعبة التي كان العرب يحجون اليها ليؤدوا مناسكهم فيها ويلتمسون الزلفى من أصنامها التي توسطها « هبل » (٣٨) وترتب على ذلك تأثر الوفود بعضهم بلهجات بعض مما أدى الى تكوين نواة لغة مشتركة بين العرب أساسها لهجة مكة والحجاز ٠

أما فيما يتعلق بأثر **المناخ** في لغتنا العربية فقد كان كبيرا لأن حياة البدوي ترتبط ارتباطا وثيقا بالمطر والكلأ ، ومن هنا كان العرب يكثرون بطبيعتهم وحاجتهم الى الغيث من التحديق في السماء ، ولقد أصبح العرب بطول الملاحظة والتجريب يميزون بين الظاهرات المناخية المختلفة التي ترتبط بسقوط الامطار ٠ وقد أورد الثعالبي في « فقه اللغة » أكثر من أربعين اسما وصفة للرياح وذكر جرجي زيدان (٣٩) أن للسحاب عند العرب مائة وخمسين اسما ، وللمطر أربعة وثمانين اسما ٠

ولقد كانت ظروف المناخ مصدرا أوحى للانسان بعديد من الكلمات التي تعتبر بمثابة صدى لأصوات الطبيعة والتي غالبا ما يطلق عليها أونوماتوبيا (Onomatopoeia) ومن أمثلة ذلك أزيز الريح ، حفيف الورق ٠

وأدى مناخ شبه الجزيرة العربية الصحراوى الجاف الى زيادة أهمية الماء والحاجة اليه وانعكس صدى ذلك في اللغة فاتسع تدريج التعبير عن العطش حتى أصبحت الكلمات الدالة عليه تتدرج تدرج مقياس الحرارة «الترمومتر» من العطش القليل الى العطش القاتل على النحو التالى :

العطش ـ الظمأ ـ الصدى ـ الغلة ـ اللهبة ـ الهيام ـ الأوام ـ الجواد وهو العطش القاتل ٠ وفي البيئة الجغرافية الجافة عبرت العربية في سعة لا نظير لها عن الآبار ومياهها في أسماء بلغت جملتها كما ذكرها الثعالبي (٤٠) سبعة وثلاثين اسما وصفة ، كل اسم منها كأنه تعبير « شفري » يلخص حالة المياه كماً وكيفاً ، فمثلا « الزلال » اذا جمع الصفاء والعذوبة والبرد ، و «الغساق» ماء البئر البارد المنتن ٠

وبالنسبة لعمق الآبار وكمية مائها فقد ورد أكثر من عشرين اسما وصفه منها « الظنون » وهي البئر التي لا يدري أفيها أم لا ، و « المكول » القليل الماء ٠

ومن الكنايات والاستعارات التي أوحت بها ظروف المناخ قولنا « أظلني بعطفه » ، و « أقر عيني « من القر وهو البرد ، و « أثلج صدرى » وبطبيعة الحال لا نجد مثل هذه التعبيرات في لغات المناطق الباردة ٠

وهكذا رأينا من الأمثلة السابقة كيف أثرى المناخ اللغة العربية ٠ وكما أثر المناخ في اللغة العربية من حيث كثرة الكلمات الدالة على ظروفه، فقد أثرت كذلك **البيئة الحيوية** من نبات وحيوانات في لغتنا العربية وانعكس ذلك في كثرة الكلمات الدالة على الحشائش وأنواعها وصفات المراعي ٠ والغطاء النباتي في شبه الجزيرة العربية عموما فقير وقد انعكس ذلك على حيوانات الرعى ٠ بحيث أصبح الجمل أكثر الحيوانات ملاءمة لهذه البيئة الجغرافية ٠ ويعد الجمل أنفع الحيوانات للبدوى منه يأخذ الغذاء والكساء ، وعليه يتنقل في الصحراء ، ومن روثه يتخذ البدوى وقوده ومن بوله الدواء ، وهو العملة الصعبة التي لا تنخفض قيمتها على الدوام ويفضل جميع البدو التعامل بها فيقبلونها مهرا لعروس أو دية لمصاب ٠

والناقة أم حنون للبدوى ترضعه لبنها طوال حياته ، مهما بلغ عمره لا تفطمه أبدا كما تفعل أمه التي حملته بين أحشائها ٠ وليس من الغريب أن يدهش رينان Renan الفرنسى أحد الباحثين البارزين في اللغات السامية ، حينما ينقل عن الاستاذ دى هامر De hammer انه توصل الى جمع أكثر من ٥٦٤٤ لفظا يتعلق بشئون الجمل رفيق الاعرابي في الصحراء٠ وتضم المعاجم العربية نحو ألف اسم وصفة للجمل ، الذي لعب دورا لغويا هاما في حياة العربية فهو الذي سهل نشرها ليتحدث بها نحو مائة وأربعين مليونا ٠

ولما كانت الابل هي أهم ما يملك العربي من ثروة فمن الطبيعي أن يكون لأسمائها وصفاتها أثر كبير في لغتنا ٠ وتبدو آثار الجمل واضحة في لغتنا العربية وان ابتعدت كثيرا عن ذلك الحيوان الصحراوى ، تماما كالصوف الذي ينزعه الانسان من فوق اجسام الاغنام ليصنع منه حلة أو معطفا يتباهى به ٠ ومن الألفاظ التي ترجع في أصلها الى الابل « الاناقة » (٤١) اشتق هذا اللفظ من الناقة ولقد انتقل المعنى من تلك البهيمة الصحراوية الى المدينة المترفة ، وقد مرت هذه الكلمة بتطور على هذا النحو « نوقت البعير « بمعنى ذللته وجعلته مطواعا ، ثم تلى ذلك « نوقت الشيء » أي صففته وهندمته ، وهكذا عرفت الناقة البدوية سبيلها فتسللت الى صميم الحضارة المعاصرة ٠

أما البعير أو الجمل فقد غزا اللغة العربية بألفاظ كثيرة اشتقت من اسمه مثل « الجميل » و « المجاملة » ويرجع ذلك لتقدير البدوي لفضيلة الصبر عند الجمل ، وكان « التجمل » أي « التصبر » من شيم المثالية العربية ..

وهكذا تسلل الجمل مع الناقة شريكة بيدائه ورفيقة دربه وأسفاره الى حياتنا العصرية ، ومن الألفاظ الاخرى التي استعارها العربي من البيئة الحيوية، وصف الزوجة بالعقيلة أو القرينة وكلا اللفظين استخدم مع الحيوان لأول مرة ، فالعقيلة من « العقل » عقل الناقة مع الجمل ، و « القرينة » من ربط قرن البقرة.

والى جانب الظروف الطبيعية المختلفة التي أثرت في اللغة العربية ، فانها قد تأثرت كذلك بعوامل بشرية أخرى اذ أننا يمكن أن نلمس جوانب الحياة العقلية والاجتماعية للعرب من دراسة اللغة العربية ، ومن الشواهد على ذلك لفظ الصديق في العربية فهو مشتق من الصدق وعلى ذلك يكون مفهوم العرب للصديق مبنيا على فكرة الصدق في المعاملة (٤٢) . كما أن كلمات اللغة العربية يرتبط بعضها بالبعض الآخر كارتباط أفراد القبيلة والاسرة ، وارتباط الكلمات يكون حول معنى معين تدل عليه بعض الحروف الثابتة في هذه الكلمات . فالرابطة الاشتقاقية في ألفاظ العرب كالرابطة النسبية في أفراد العرب ، وعلى سبيل المثال كلمة « قطع » مع ما يمكن أن يشتق منها من تصاريف فعلية ومشتقات اسمية ومصادر وغيرها تزيد على مائة وخمسين كلمة (٤٣) كلها تلتقي حول معنى « القطع » وهكذا حافظت مفردات العربية على نسبها محافظة العرب على أنسابهم .

وثمة ظاهرة أخرى في اللغة العربية هي أن الكلمة حرة طليقة في الجملة تستطيع أن تنتقل وتتجول كما يتجول البدو ويمكن أن تصاغ الجملة بعدة طرق تتبادل فيها الكلمات المواقع لكنها تدل على المقصود منها وعلى سبيل المثال يمكن أن تكتب جملة واحدة وفق الأمثلة الآتية :

أ ـ أكلت الابل العشب .

ب ـ العشب أكلته الابل .

جـ ـ الابل أكلت العشب .

د ـ أكلت العشب الابل .

من الامثلة السابقة يتضح لنا أن «موقع» الكلمة في الجملة العربية لا يحدد وظيفتها بالقدر الذي يظهر في كثير من اللغات الاخرى مثل الانجليزية مثلا ،

ولذلك كان لا بد من استخدام الحركات كالضمة التي تدل على القوة والقرب ، والفتحة التي تدل على البعد والضعف حتى تتحدد وظيفة الكلمة في الجملة ٠

ومن الخصائص التي تكاد تنفرد بها العربية وتشابه ما يسود المجتمع القبلي أو البدوى ، وهي أنه كما تدين القبيلة بالولاء لفرد من الافراد فيسوس أمورها ، فان بعض حروف الكلمات تسيطر عليها وتعطى لها معنى خاصا ، وعلى سبيل الامثلة وجود حرف « الحاء » في نهاية الفعل يفيد معنى الانتشار مثل باح (انتشار السر) ، لاح (انتشار الضوء) ، صاح (انتشار الصوت) ، ساح (انتشار السائل) ، كما أن بداية الفعل العربي بحرف « الغين » تجعله يفيد معنى الاختفاء مثل : غاب ، غرق ، غاص ، غام ٠ وهناك أمثلة كثيرة توضح سيطرة حرف على معنى الكلمة ٠

من الأمثلة السابقة يتضح لنا مدى التطابق بين المجتمع العربي ولغته ان سمات العرب وخصائص حياتهم تظهر في لغتهم بشكل صادق وأمين ، فالكلمات أسر ، والكلمات تتجول في الجملة تجول الرعاة ، وقد يتاح لحرف أن يسيطر على معنى الكلمة فيصبح نواة دلالتها كما قد يتاح لفرد أن يسيطر على قبيلته ليصبح شيخها ٠

انتشار اللغة العربية

أولا : العوامل التي ساعدت على انتشار العربية :

تضافرت مجموعة من العوامل ساعدت على انتشار اللغة العربية ، وأبرز هذه العوامل على الاطلاق الدين الاسلامي ومعجزته الكبرى وهي القرآن الكريم الذي أنزله الله بلسان عربي مبين ٠

ويمكن القول بأن الاسلام هو العامل الاساسى الذي مكن انتشار العربية بين شعوب كثيرة وأتاح تداولها في أقطار عديدة ، وهو الدرع التي صانت العربية خلال العصور المختلفة رغم ما تعرضت له من هجمات أعدائها الشرسة ٠ والمسلمون مطالبون بالتعبد بآيات القرآن في صلاتهم، فلكي تقبل صلاة كل مسلم فعليه أن يقرأ القرآن حتى تصح صلاته ، ولا تكفي قراءة الراهب أو القسيس كما في الأديان الاخرى ٠

ولقد ذكر المستشرق « بروكلمان » (٤٤) أنه بفضل القرآن بلغت العربية مدى لا تكاد تعرفه أية لغة من لغات الدنيا ، والمسلمون جميعا يؤمنون بأن العربية هي وحدها اللسان الذي أحل لهم أن يستعملوه في صلاتهم وبهذا اكتسبت

العربية منذ زمان طويل مكانة رفيعة فاقت جميع لغات الدنيا · وقال عبد الكريم جرمانوس : ان في الاسلام سندا هاما للغة العربية أبقى على روعتها وخلودها فلم تنل منها الاجيال المتعاقبة على نقيض ما حدث للغات القديمة المماثلة كاللاتينية حيث انزوت تماما بين جدران المعابد ·

ولعل من معجزات النبي عليه السلام التي لم يكن يذكرها العلماء في جملة معجزاته أنه أعاد للبلاد السامية وحدتها اللغوية بعد أن تفرقت بمرور القرون حيث انتشرت العربية وقضت على سائر اللغات الاخرى تقريبا في الجزيرة العربية وبلاد الشام والعراق ومصر ·

وكانت العربية قبل الاسلام لهجات متعددة ، لهجة لكنانة وهذيل وثقيف وخزاعة وأسد وعرب الحجاز ، ولهجة تميم وقيس في وسط الجزيرة ، ولهجة لربيعة في شمال الجزيرة ، وكانت كل لهجة تفترق عن غيرها في كيفية النطق بها ولكن هذه اللهجات لم تلبث أن أخذت اتجاها واحدا يتمثل في لهجة قريش ·

ومن الامور الاخرى التي ساعدت على انتشار العربية ، سماحة المجتمع الاسلامي الذي قرر على لسان محمد عليه السلام أن كل من يتكلم العربية فهو عربي ، وبهذا أفسح النبي عليه السلام مجال التعريب أمام غير العرب مشجعا على تعلم العربية التي أصبحت وثيقة الانتماء الى العرب أيا كان أصل من تعلمها، وقال صلى الله عليه وسلم : يا أيها الناس ان الرب واحد ، والأب واحد وليست العربية بأحدكم من أب أو أم ، وانما هي اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربي (٤٥) ·

وساعد كذلك على انتشار العربية هجرات كثير من القبائل العربية الى بلاد الشام والعراق ومصر واقامتهم فيها وكانوا النواة التي قام عليها أساس تعريب هذه الأقطار ، كما أن الاستعانة بآلاف الاسرى كعبيد أو خدم الى جانب السبايا من الاماء والاقبال على الزواج من غير العربيات كل ذلك ساعد بلا ريب في عمليات التعريب ·

ومن الاحداث الجديرة بالذكر في مجال انتشار العربية ذلك الامر الذي أصدره عبد الملك بن مروان بتعريب الدواوين في الامصار ، وقد كلف صالح بن عبد الرحمن ـ وكان يحسن العربية والفارسية ـ بتعريب ديوان العراق من الفارسية الى العربية ، وقد حاول الفرس اغراءه بالمال حتى يتظاهر بعجزه لكنه أبى رغم ما وضعوه وعرضوه عليه من مشكلات لغوية في الترجمة وذهبت كل

محاولات الفرس عبثا ولم يملك رئيس الديوان مروان شاه الا أن يقول لصالح بن عبد الرحمن : قطع الله أصلك من الدنيا كما قطعت أصل الفارسية (٤٦)

وساعد على انتشار العربيـة في بـلاد الشام أن معظم سكـان الشام كانوا يتكلمون « الآرامية » وهي لغة سامية شقيقة للغة العربية ، وساعد على انتشار العربية في مصر أن لغة المصريين قبـل الاسلام كانـت القبطية وهي لغة حامية ، واللغات الحامية والسامية مجموعتان لغويتان متقاربتان بل كثـيرا ما يدمجهمـا اللغويون في مجموعة واحدة وعلى هذا النحو لم يكن الامر عسيرا على أن تستبدل لغة سامية بأخرى ، كما لم تكن العربية غريبة أو بعيدة عن المجموعات اللغوية الحامية التي سارع أصحابها باتخاذ العربية ، ولم يكد القرن الثالث الهجرى أن ينقضى حتى وجدت العربية سبيلها الى الكنائس القبطية في مصر فوعظ بها رجال الدين وكتبوا بها سير الآباء المسيحيين وخطوا بها الانجيل ٠

ويرى العلامة أحمد كمال باشا ان العربية أصل للغة المصرية القديمة ، وقد ألف قاموسا ضخما أورد فيه ألوفا من الكلمات الهيروغليفية الموافقة للغة العربية ، اما موافقة تامة ، أو موافقة بضرب من التحريف أو القلب والابدال (٤٧) ٠

ومن العوامل الاخرى التي ساعدت على انتشار العربية :

أن الفتوحات الاسلامية التي تمت خلال فترة وجيزة نسبيا قد حملت معها العربية ، فالعربية كانت لغة الفاتحين المنتصريـن ، ولغـة الادارة فـي الاقطـار المفتوحة ، وقد أيقن بعض الناس من أقطـار البلاد المفتوحـة أن تعلـم العربية واتقانها هو السبيل للوصول الى الوظائف الكبرى فأقبلوا على العربية لتحقيق أغراضهم الدنيوية ولم يكد يبدأ القرن الخامس الهجرى حتى اندثرت اليونانية والرومانية والآرامية من الشام واندثرت القبطية من مصر ، وانحسرت البربرية الى مناطق منعزلة في صحراء المغرب وجباله (٤٨) ٠

ومما لا شك فيه أن الظروف الجغرافية الطبيعية من موقع ومناخ وسطح كان لها آثار لا تنكر في انتشار العربية ٠

ويبدو أثر الموقع واضحا حينما ننظر الى خريطة انتشار العربية لنجد أن الاقطار المحيطة بشبه الجزيرة العربية هي الاقطار التي انتشرت فيها العربيـة وتشمل الشرق الادنى كله حتى هضبة آسيا الصغرى شمالا ، وجبال كردستان وزاجروس شرقا ، ومصر وشمالي افريقيا والسودان غربا ٠ ثم نجد نطاقا آخر انتشرت فيه الكلمات العربية بنسب تقل كلما ابتعدنا عن النطاق الاول ويتمثل

في ايران وباكستان والملايو واندونيسيا شرقا ، وتركيا شمالا ، والصومال وتنزانيا وأوغنده جنوبا ، وتشاد والسنغال ونيجيريا وغيرهما غربا · وأهم ما نلاحظه على امتداد نطاق العربية أنه امتداد ليس منتظم الشكل في العادة فهو امتداد كبير في شمالى أفريقيا يصل الى سواحلها الشمالية الغربية في المملكة المغربية وموريتانيا ، لكنه لا يمتد الى الحبشة ذات الموقع القريب ، على الرغم من أن معظم اللغات التي تسود الحبشة من أصل سامي ولعل السبب في ذلك هو وجود مجموعة الهضاب والمرتفعات التي تمثل حاجزا طبيعيا جد متين يعوق اتصال السهل الساحلي بداخلية القارة ·

وكان من آثار هذه المرتفعات أن عزلت المناطق الساحلية في شرقي افريقيا عن قلب القارة، وفرضت عليها أن تتجه الى الجزيرة العربية وأن ترتبط معها بصلات عديدة منذ عهود سحيقة لا تعي ذاكرة التاريخ قدمها (٤٩) ، واستمرت صلات شرقي افريقيا ببلاد العرب طوال عصور التاريخ لانها صلات فرضها الموقع وأملتها ظروف تضاريسية ومناخية متنوعة · ومن بين ما نلمسه كذلك من آثار هضاب شرقي افريقيا أنها جعلت الهجرات العربية تتجه على طول امتداد السهول الساحلية صوب الجنوب ، اذ أن الشعوب البدوية لم تستطع أن تخترق النطاق الهضبي ، ولقد قال عمر بن الخطاب « لا يفلح العربي الا حيث يفلح الجمل » وحيثما حل العربي ترك ألفاظا من لغته تتناسب في كثرتها مع كثرة من حلوا من العرب وطول بقائهم ، كما أن انتشار العربية في الشمال الشرقي لم يكن ذا عمق كبير كانتشارها في الشمال الغربي ، وربما يرجع عدم انتشار العربية في ايران الى أن اللغة الايرانية ليست قريبة الصلة باللغة العربية ولا تنتمي الى أسرتها السامية ، كما أن الدولة العباسية غلب عليها الطابع الفارسى بسبب ميل العباسيين للفرس ، ويذكر المؤرخون أن لغة كثير من الناس في الدولة العباسية كانت ثنائية (فارسية وعربية) ، وكان الامراء والوزراء ومعظمهم من الفرس يؤثرون التحدث بالفارسية حتى في قصور الخليفة (٥٠) ·

ومهما يكن الامر فقد ساهمت الظروف الجغرافية البشرية والطبيعية في انتشار العربية ، ونحن لا ننكر حماس المسلمين وجهادهم الصادق في سبيل الله وعملهم على نشر العربية لغة القرآن ، وفي نفس الوقت لا نقلل من أثر الظروف الجغرافية من مناخ وسطح في انتشار العربية والاسلام كما فعل بعض الباحثين (٥١) ·

ولا يفوتنا ونحن نتابع العوامل التي ساعدت على انتشار العربية أن نشير الى أن خصائص اللغة العربية قد ساعدت على انتشارها كلغة دين ولغة مدنية ،

فاللغة العربية لغة اشتقاق يصل عدد موادها الى ٤٠٠ ألف مادة ، بينما عدد كلمات كثير من اللغات الاوروبية مثل الفرنسية أو الاسبانية أو الانجليزية لا يجاوز مائة ألف كلمة · وقد ذكر الخليل بن أحمد في كتاب العين : أن عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل (١٢ر٣٠٥ر٤١٢) أي أكثر من اثني عشر مليون كلمة ، وهو يقصد بهذا الرقم ما يمكن تكوينه بتركيب أحرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي والرباعي (٥٢) ، واللغة العربية في مجال الاشتقاق لا تبارى ، ولا تنافسها لغة أخرى في كثرة كلماتها مما جعل سعتها تستوعب جميع المعاني · وتتميز اللغة العربية كذلك بتنويع أساليبها بحيث يمكن التعبير عن المعنى الواحد بتعبيرات مختلفة ما بين حقيقة ومجاز أو استعارة وكناية ·

وثمة سبب آخر هام أدى الى انتشار العربية هو تفوقها اللغوى اذ أن اللغة العربية لغة قوية ، ورثت حيويتها عن البيئة الصحراوية القاسية التي نشأت في رحابها ، فأعانتها هذه الحيوية على مغالبة صعاب الزمان ، وتتمثل قوة العربية في ايجاز جملها دون أن تنقصها دقة التعبير ، فهي قادرة بأساليبها الموجزة على التعبير عن أخفى الافكار وأدق المعاني (٥٣) ·

ولقد اختبرت (٥٤) اللغة العربية طوال قرون طويلة فلم تعجز ولم تضق بكل ما أدركه الانسان من علم وثقافة ومن صناعة بل وسعت حضارة القرون المتطاولة والامم المختلفة غير كارهة ولا مكرهة ·

ولقد أراد الله لها أن تكون لغة كتابه وترجمان وحيه وبلاغ رسالته ، فاشتملت على العالم الحسى والعقلى مصوّرا في كلمات وآيات ، وجوزيت على هذا خلودا ما خلد للانسان عقل وقلب ، وما استقام له احساس وادراك ·

وتقلب الزمن ، وتوالت المحن ، وثارت الفتن وهي ثابتة خالدة ، خمسة عشر قرنا محت لغات وبدلت لغات والعربية هي العربية لم تمح ولم تغير أو تبدل حتى أن أبناء اليوم يفهمون أشعار الجاهلية والمخضرمين كما يفهمون اشعار المعاصرين ·

ثانيا : مسالك انتشار العربية (شكل ٤) :

انتشرت العربية قبل الاسلام لكن انتشارها كان عن طريق العلاقات التجارية ولم يتعد أسماء بعض السلع ولم يتخط بعض المناطق المجاورة · وما أن ظهر الاسلام حتى ارتبط انتشار العربية بانتشاره ارتباطا وثيقا ، وبدأ زحف

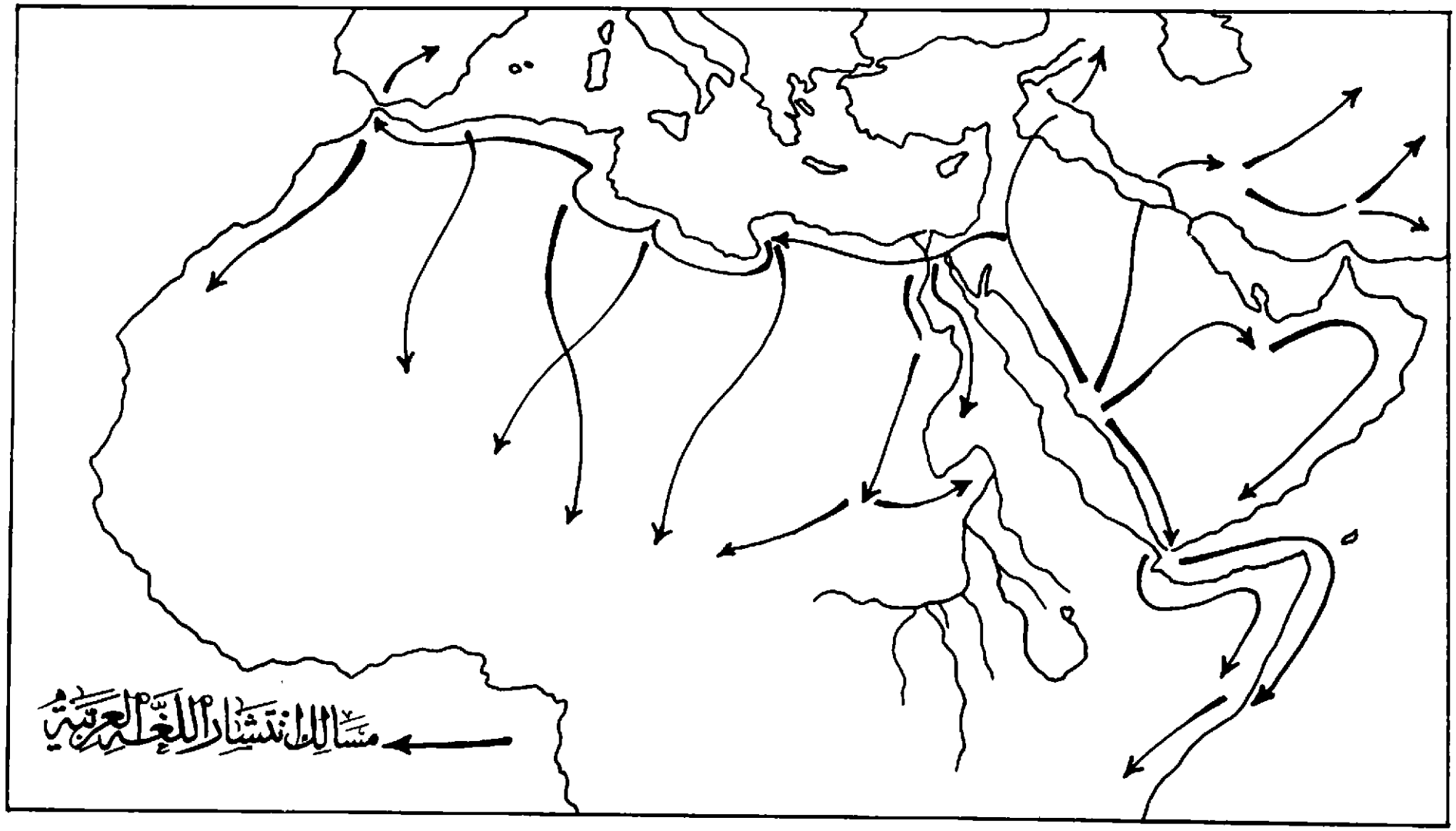

شكل (٤)

العربية الكبير ينتشر مع انتشار الاسلام ، فقد زحفت العربية جنوبا وحلت محل لغات جنوبي الجزيرة العربية ، ثم عبرت المحيط الهندي الى شرقي افريقيا ، وزحفت شمالا فقهرت الآرامية في بلاد الشام وأرض الرافدين ، وكانت الفتوح الاسلامية قد أخذت تتجه نحو الشام حينما أرسل أبو بكر الجيش الذي كان النبي عليه الصلاة والسلام قد عزم على ارساله الى مشارف الشام ، ولم يثن أبا بكر عن ذلك معارضة بعض المسلمين بسبب اضطراب حالة بلاد العرب اذ ذاك فأسكت احتجاجاتهم بقوله (٥٥) : لا أرد قضاء قضى به رسول الله ، ولو ظننت أن السباع تختطفني لانفذت جيش أسامة كما أمر النبي عليه السلام ٠

وهكذا صمم أبو بكر الصديق رضى الله عنه على تنفيذ ما خطط له النبي عليه السلام ، وبعد أن قضى أبو بكر على حركة الردة ، بدأ يسعى لنشر الاسلام في اتجاهين اتجاه شرقي الى بلاد الفرس ، واتجاه شمالى الى بلاد الشام ٠ وكان أبو بكر قد عين لكل أمير طريقا يسلكه ومدينة يتمركز فيها ويقطنها بعد الفتح مع عسكره وعيالاتهم اذ أن القبائل العربية كانت تنتقل في سيرها بأثقالها وذراريها (٥٦) ٠

واتجهت العربية غربا مع الفتوح الاسلامية الى افريقيا فقضت على القبطية في مصر وقوضت لهجات البربر في شمال افريقيا ، ومن المغرب عبرت العربية مضيق جبل طارق الى اسبانيا ٠ وبفضل نشاط الملاحة العربية في البحر المتوسط نقلت العربية الى بعض جزره ، ومنها مالطة حيث يتكلم الناس بالعربية حتى الان (٥٧) ٠

ولقد سلكت الفتوح اللغوية العربية طريقين رئيسيتين الى افريقيا ، هما : طريق برية عبر شبه جزيرة سيناء وبرزخ السويس ، والطريق الثانية عبر باب المندب وهي طريق بحرية ٠

وهناك ممرات أخرى سلكتها العربية عبر البحر الاحمر الى الساحل الافريقي أو عن طريق ساحل المحيط الهندي وقد توغلت الهجرات العربية من مصر نحو الجنوب عبر الصحراء الشرقية الى السودان ٠

ثالثا : نتائج انتشار العربية :

انتشرت العربية انتشارا كبيرا خلال القرنين الثاني والثالث للهجرة لكنها اصطدمت بلغات أخرى وخاضت معها معارك لغوية طويلة كان من أبرز نتائجها ، القضاء على كثير من اللغات مثل السبئية والمعينية والقتبانية وغيرها في جنوب

الجزيرة العربية ، والآرامية في منطقة أرض الرافدين وبلاد الشام ، وكانت السريانية أشد اللهجات الآرامية مقاومة للعربية لأنها كانت لغة الكنيسة المسيحية · وقد لجأ رجال الكنيسة انفسهم بعد ذلك الى استعمال العربية في مؤلفاتهم منذ القرن العاشر الميلادي حين ازدهر الادب اللاهوتي المسيحي المكتوب بالعربية (٥٨) · وفي مصر دانت القبطية للعربية ، واستخدم رجال الكنيسة المسيحيون العربية ونسوا القبطية حتى اذا ما جاء القرن الثاني عشر صارت القبطية لغة ميتة واختفت آثارها بعد القرن السادس عشر · وفي شمال افريقيا سادت العربية بعد أن قضت على اللهجات البربرية فيما عدا بعض المناطق المنعزلة ·

وكان من نتائج انتشار العربية في الاقطار الاسلامية كذلك ، انتشار ظاهرة اللحن التي ظهرت بوادرها منذ اتصال العرب بغيرهم · وعلى الرغم من أن العربية هي لغة المنتصرين الا أنها لم تسلم من آثار المعارك وصراع البقاء مع اللغات الاخرى التي التقت بها فظهرت بعض الانحرافات في نطق بعض الاصوات ومنها « الضاد » التي نطقت « ظاء » ومن هنا شاعت تسمية العربية بلغة الضاد في القرن الرابع الهجرى للتمييز بين العرب وغيرهم من الفرس والاتراك (٥٩) · ويعتقد بأن التسمية ظهرت في بغداد ثم انتقلت الى البلاد العربية الاخرى وسببها أن الاتراك والفرس ينطقون « الضاد » ظاء فيقولون « حظرتنا » وهم يقصدون « حضرتنا » ، وفي « ضابط » ظابط · وقد ألف الصاحب بن عياد كتابا سماه « الفرق بين الضاد والظاء » وذلك في القرن الرابع الهجرى · وحينما لاحظ بعض الجغرافيين العرب خلال جولاتهم في الاقطار العربية من مملكة الاسلام اختلاف لهجات العربية تناولوا دراستها ، ومن أبرز الذين درسوا لهجات العربية وتوزيعها الجغرافي محمد بن أحمد المقدسى ، في مصنفه « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » الذي وضعه في نهاية القرن الرابع الهجرى حينما تناول خصائص اللهجات العربية لكل اقليم · ويذكر المقدسى (٦٠) : أهل هذا الاقليم (جزيرة العرب) لغتهم العربية الا بصحار فان نداهم وكلامهم بالفارسية وأكثر أهل عدن وجدة فرس الا أن اللغة العربية ··· وأهل عدن يقولون لرجليه رجلينه ، ليديه يدينه وقس عليه ، ويجعلون الجيم كافا فيقولون لرجب ركب ، ولرجل ركل · ويذكر المقدسى أن أصح لغة بالجزيرة العربية هي لغة هذيل ثم بقية الحجاز الا الاحقاف فان لسانهم وحش ·

ويصف المقدسى لغات (٦١) العراق فيقول : ولغاتهم مختلفة أصحها الكوفية لقربهم من البادية وبعدهم عن النبط ··· وأما البطائح فنبط لا لسان ولا عقل ·

ويتناول المقدسى اللغة في مصر فيقول (٦٢) : لغتهم عربية غير أنها ركيكه رخوة وذمتهم يتحدثون بالقبطية · ومن النتائج التي ترتبت على انتشار العربية

دخول ألفاظ أعجمية كثيرة في لغتنا العربية طابت لها نفوس العرب ومرنت عليها ألسنتهم ، ومعظم هذه الألفاظ تدل على أشياء مادية كأسماء الأطعمة والنباتات والحيوانات والألبسة ، وقد أطلق علماء العربية على الكلمات التي دخلت العربية قبل الإسلام بالدخيل والتي دخلت في صدر الاسلام بالمولد ، أما ما أدخله المحدثون فيسمى بالمحدث أو العامية · على أن ما دخل العربية من ألفاظ أجنبية قليل بالنسبة لعدد مفردات اللغة العربية كما أشرنا من قبل ، كما أن ما دخل العربية لم يبق على حاله بل صيغ في قالب عربي من حيث الحروف والبناء . ومعظم ما دخل العربية لا يتعلق بالمعنويات بل بالماديات كالأطعمة والملابس وغيرها ·

وقد تصدى النحاة لظاهرة اللحن وأكبوا على وضع القواعد الكفيلة بالحفاظ على العربية ، حتى أنه ليمكن القول بأنه لم تحظ لغة باهتمام أبنائها كما حظيت العربية طوال أكثر من ألف عام تجسدت ثمار جهودهم فيها أسفارا ومجلدات تفوق في كمها وآرائها معظم ما كتب في انحاء (٦٣) اللغات الاخرى وكان الباعث على ذلك حرصهم الشديد على أداء نصوص الذكر الحكيم اداء فصيحا ·

ومما يذكره المؤرخون أن خلفاء الدولة الأموية كانوا يرسلون أبناءهم الى البادية ليكونوا بعيدين عن الامصار التي جذبت المسلمين من غير العرب فشاع فيها اللحن · ولعل أكبر حركة تأليف عرفتها العربية في كل تاريخها تلك التي تمت بعد اقتحام المغول لبغداد وتدمير خزائن كتبها ، اذ أنه يبدو أن الدارسين أرادوا انقاذ ما يمكن انقاذه من تراث أجدادهم بعد غارات المغول التخريبية (٦٤)· ومن أبرز من عرفوا في ذلك العصر ، ابن مالك النحوى ، وابن منظور المصري صاحب معجم لسان العرب ، وابن فضل العمرى ، صاحب مسالك الابصار في ممالك الامصار ، وجلال الدين السيوطى الذي يعد أغزر مؤلفي هذه الفترة انتاجا ·

ولقد تأثرت لغات الشعوب الاسلامية بالعربية لانها لغة القرآن ، فلا غرو اذ ان تترك آثارا عميقة تمثلت في انتشار الحروف العربية واتخاذها لكتابة اللغات الاسلامية كما هي الحال في اللغة الفارسية والأردية ، والملايوية · وكانت التركية تستعمل الحروف العربية حتى ٣ نوفمبر سنة ١٩٢٨م · يوم قضى كمال أتاتورك باستعمال الابجدية اللاتينية (٦٥) ، وكذلك

كانت الصومالية تكتب بالحروف العربية الى جانب الحروف اللاتينية الا أن الرئيس سياد برى قرر اتخاذ الحروف اللاتينية حروفا لكتابة الصومالية وبدأ تنفيذ ذلك في ٢١ يناير سنة ١٩٧٣م · وقد برر اتخاذ الحروف اللاتينية بأن هناك سلسلة من الاعتبارات العلمية وضرورة ملحة دفعت الى ذلك (٦٦) ·

ومن اللغات الاخرى التي تتخذ الحروف العربية في كتابتها لغة الباشتو في افغانستان ، والمورو في جزائر الفلبين ، والكانوري (تشاد) والهوسا (نيجيريا وتشاد) ، والفولانية (سنغال ـ نيجيريا ـ غينيا) ·

ومن آثار اللغة العربية في لغات الشعوب الاسلامية ، دخول مئات من الكلمات العربية في بعض هذه اللغات ، ومن الطبيعي أن تكون كلمات العبادات والمعاملات الاسلامية هي أولى هذه الكلمات ، الى جانب الكلمات التي تفوقت في مجالها الحضارة العربية ، ويقال أن الفارسية التي تكتب اليوم تزيد ألفاظها العربية على الألفاظ الايرانية ، والكلمات العربية في النصوص الأدبية المكتوبة بلغة الملايو تزيد على ما فيها من كلمات اندونيسية خالصة ، وكانت العربية قد انتقلت الى جزر الهند الشرقية على أيدى الملاحين العرب في المحيط الهندي (٦٧)· وأثرت العربية كذلك في اللغة التركية ، والأردية ، والصومالية ، والسواحلية والهوساوية ، والفولانية وغيرها · وحينما دخل الاسلام القارة الاوروبية عرفت الكلمات العربية طريقها الى كثير من اللغات الاوروبية مثل الاسبانية، والبرتغالية، والايطالية ، والفرنسية وغيرها (٦٨) ·

الخريطة اللغوية المعاصرة للعالم العربي

نقصد بالعالم العربي اثنين وعشرين قطرا (٦٩) ، تمتد رقعتها في قارتي آسيا وافريقيا فتغطي مساحة تصل الى أربعة عشر مليونا من الكيلومترات المربعة، يصل نصيب الدول العربية الأفريقية منها الى عشرة ملايين من الكيلومترات ـ أي ٧١٪ من مجموع المساحة الكلية لأقطار العالم العربي ـ وتصل مساحة الدول العربية الآسيوية الى أربعة ملايين من الكيلومترات تقريبا ·

ويثير مفهوم الأقطار العربية الان نقاشا تجسد في اتجاهين ، اتجاه يرى أن مفهوم الدول العربية الحالى هو تلك الدول الأعضاء في جامعة الدول العربية ، وعلى ذلك تكون هناك اثنتان وعشرون دولة عربية ، تسع منها في افريقيا ، وثلاث عشرة في آسيا واتجاه آخر ينادي بأن الدول العربية هي تلك الدول التي تتخذ من اللغة العربية لغة رسمية لها ، واستنادا الى ذلك تكون هناك دولتان من دول الجامعة العربية لا تعد في نظرهم عربية وهي الصومال وجيبوتي · ويرى هذا

الفريق أن مجرد الانضمام الى الجامعة العربية لا يكسب صفة العروبة ، اذ أنه لا يكفي أن تقرر أية دولة انضمامها الى الجامعة العربية فتصبح عربية ، كما أن انسحاب أية دولة عربية من الجامعة لا يسقط عنها عروبتها (٧٠) · ويرى الفريق الأول « أنصار الانضمام الى الجامعة العربية ، أنه لا يمكن لأية دولة أن تنضم الى الجامعة العربية الا اذا كانت بينها وبين العروبة صلات قوية ومهما يكن الامر فاننا سنتناول الدول العربية كمجموعة الدول المنضمة للجامعة العربية ·

ان دراسة الخريطة اللغوية لاقطار العالم العربي توضح لنا أكثر من مائة وثلاثين مليونا من أفراد سكان العالم العربي أو نحو ٨٩٪ من مجموع السكان يتحدثون العربية بينما يتحدث بغير العربية نحو سبعة عشر مليونا ·

وتزيد نسبة المتحدثين بالعربية في أقطار الجناح العربي الآسيوى لتصل الى ٩٥٪ من مجموع السكان ، أما أقطار الجناح الأفريقي العربي فتنخفض فيه نسبة المتحدثين بالعربية لتصل الى ٨٥٪ من مجموع سكانه ، ولقد كانت نسبة المتحدثين بالعربية في أقطار الدول العربية الأفريقية تزيد على ٩٠٪ حتى بداية السبعينات الا أن انضمام كل من موريتانيا والصومال (٧١) وجيبوتي الى جامعة الدول العربية أدى الى انخفاض هذه النسبة على نحو ما ذكرنا ·

وضع العربية في الدول العربية الأفريقية :

تغطي اللغة العربية معظم أفريقيا الشمالية ، ويمتد انتشارها على هيئة هلال قاعدته البحر المتوسط ويمتد طرفاه الى درجة عرض ١٢° شمالا تقريبا في السودان ، ودرجة عرض ١٤° شمالا تقريبا في غربي افريقيا (شكل ٥) ·

ويتحدث بالعربية نحو ثلث سكان (٧٢) القارة الافريقية · ونستطيع أن نقسم الدول العربية الافريقية من حيث نسب المتكلمين بالعربية على النحو التالى :

أ ـ دول يزيد عدد المتحدثين فيها بالعربية على ٩٥٪ وتشمل : جمهورية مصر العربية ـ ليبيا ـ تونس ·

ب ـ دول يزيد المتحدثين فيها بالعربية على ٨٥٪ وتشمل الجزائر ·

جـ ـ دول يزيد عدد المتحدثين فيها بالعربية على ٧٥٪ وتشمل : المغرب ، السودان ، موريتانيا ·

د ـ دول أخرى عربية يتحدث العربية فيها نسبة قليلة من السكان مثل جمهورية الصومال وجمهورية جيبوتي حيث لا تزيد نسبة الذين يتحدثون العربية فيها على ٢٠٪ (٧٣) من السكان ·

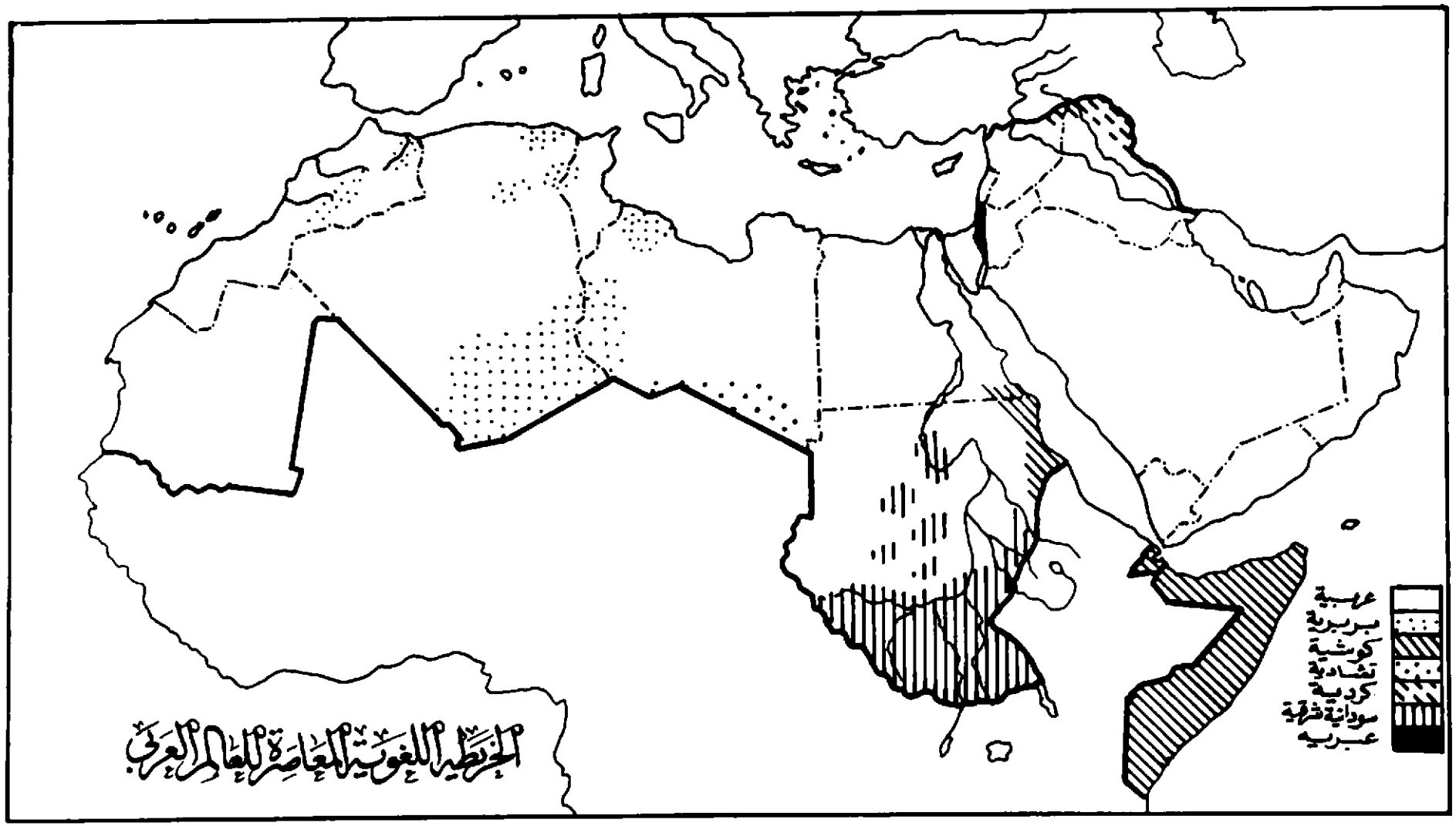
الخريطة اللغوية المعاصرة للعالم العربي
عربية
بربرية
كوشية
تشادية
كردية
سودانية شرقية
عبريه

شكل (٥)

أهم اللغات غير العربية في الأقطار العربية الأفريقية :

أهم اللغات غير العربية المنتشرة في أقطار العالم العربي الافريقي لغة البربر · ويبدو أن أصل اشتقاق لفظ البربر من كلمة لاتينية هي Barbari وتعني الأجانب أو الذين لا يفهم كلامهم · وينتمي البربر الى الحاميين الشماليين الذين ينتمون بدورهم الى القوقازيين ·

وللبربرية عدة لهجات أهمها لهجة « صنهاجة » التي يتحدث بها بعض بربر الجزائر وبعض بربر أطلس الكبير في المغرب والطوارق في جنوب وجنوب شرق الجزائر · ولهجة « الزناتية » ويتحدث بها بربر تونس ، وليبيا وسكان واحات مزاب ، وورقلة ، وطوقورت ، ولهجة الشلوح Chleuh ويتحدث بها بربر غربي أطلس الكبير في المغرب وبربر ووادي السوس ، ووادى درعة (٧٤) · ويتحدث بالبربرية في المغرب ٢٢٪ من السكان ، الى جانب ١٤٪ يتحدثون العربية والبربرية ، وتصل نسبة الذين يستخدمون البربرية في الجزائر الى ١٥٪ وفي تونس الى ١٪ وفي ليبيا الى ١ ٪ · ويقدر عدد البربر بأكثر من ثمانية ملايين نسمة في المغرب والجزائر وتونس وليبيا وموريتانيا · وأهم المناطق التي ينتشر فيها البربر في ليبيا هي منطقة جبل نفوسه وغريان وبعض الواحات مثل واحة أوجلة وواحة غدامس ومدينة زوارة· ويتركز البربر في تونس بجزيرة جربة وقفصه وفي بعض المرتفعات الى الغرب من خليج قابس · أما في الجزائر فتزيد نسبة البربر في ولايتي قسطنطينة والجزائر ، وجبال أوراس ومنطقة القبائل · وهناك مجموعة من البربر في أطلس التل المطلة على سهل المتيحة ، وتنتمي مجموعة الطوارق الى البربر وتعيش الطوارق في مساحة كبيرة في جنوب وجنوب شرقي الجزائر · وينتشر البربر في المغرب في أطلس المتوسط وفي منطقة الريف والسهول المحيطة بها ، وسهول وادي السوس ، ووادى درعة (شكل ٥) · ومن اللغات الاخرى غير العربية المنتشرة في الاقطار العربية الافريقية، اللغات الكوشية وتنتشر في الصومال ، وجيبوتي ، والاجزاء الساحلية السودانية المطلة على البحر الاحمر في شمال شرقي السودان · ويتحدث باللغات الكوشية في أقطار العالم العربي نحو أربعة ملايين نسمة ، وتنتمي الصومالية بلهجاتها المتعددة الى الكوشية ، وقد دخلت اللغة الصومالية نسبة من الكلمات العربية لا تقل عن ٣٠٪ من مفردات الصومالية · وتلحق لهجات البجه في شرقي السودان باللغات الكوشية ويقترب عدد البجه من ٨٠٠ ألف نسمة تشكل مجموعة الهدندوه أكبر نسبة من جماعاتها المختلفة ·

والى جانب لغات البربر واللغات الكوشية تنتشر لغات ولهجات تنتمي الى مجموعات لغوية مختلفة مثل لغات الشيلوك والنوير والدنكا وتنتمي الى مجموعة اللغات السودانية الشرقية ، وتنتشر هذه اللغـات جنوب السودان وفـي مناطق متفرقة في دار فور وكردفان ، وفي المحافظة الشمالية حول النيل الجنوبي حيث تعيش جماعات النوبيين ممثلة في الدناقلة ، والمحس والسكوت ، ويزيد عدد النوبيين في السودان على ٣٠٠ ألف نسمة ٠

وتنتشر في الأطراف الجنوبية من ليبيا لغة التيدا Teda وهي احدى اللهجات التشادية ٠ وتوجد في جنوب موريتانيا بعض اللغات الاخرى مثل لغة الولوف والتوكولور في وادي السنغال والسراخول في منطقة الحدود مع مالى ٠

وضع العربية في الأقطار الآسيوية :

سبقت الاشارة الى أن نسبة المتحدثين بالعربية في الأقطار العربية الآسيوية تصل الى ٩٥٪ من مجموع سكان أقطار هذه الدول باستثناء فلسطين المحتلة التي يصل عدد سكانها الى نحو ٣ر٥ مليون نسمة يصل عـدد العرب بينهم الى نحو ٦٠٠ ألف نسمة ، ويستخدم اليهود اللغة العبرية ٠

ويصل عدد الاكراد في العراق الى أكثر من مليون نسمة (تصل نسبتهم الى نحو ١٠٪ من مجموع السكان) يستخدمون الكردية، يتركز الأكراد في شمال شرقي العراق في منطقة جبال كردستان ، وتزيد نسبة الأكراد في بعض مناطق العراق مثل ألوية الموصل وأربيل وكركوك والسليمانية ، وكان قد صدر سنة ١٩٣١م ٠ قانون خاص باللغات المحلية في العراق أوجب أن تكون الكردية لغة المحاكم والتدريس في الألوية المذكورة (٧٥) ٠

وتنتشر الفارسية في شرقي العراق حيث يستخدمها نحو ٣٪ من مجموع السكان ، كما يستخدم التركية نحو ٢٪ من سكان العراق يعيشون في منطقة الحدود الشمالية ٠

من العرض السابق يتضح لنا أن ١٥٪ من سكان العراق لا يستخدمون العربية ٠

أما سوريا فيتحدث العربية فيها ٩٥٪ من مجموع السكان ، وتشترك فـي النسبة الباقية أربع لغات هي الكردية ، والأرمنية ، والتركية والسريانية (٧٦)٠

وتسود العربية بقية الأقطار العربية الآسيوية الأخرى مثل المملكة العربية السعودية ، والأردن واليمن والكويت وغيرها ، على أنه مما تجدر الاشارة اليه أنه توجد لهجات محلية تتباين ليس فقط من دولة الى أخرى بل وفي البلد الواحد من منطقة الى أخرى ، الا أن هذه اللهجات مع تعددها لا تحول دون الفهم أذ أن العربي يستطيع أن يجول في أقطار الدول العربية المختلفة وأن يفهم لهجاتها بكل يسر وسهولة .

NOTES ON THE GEOGRAPHY OF ARABIC LANGUAGE

Arabic is a semitic language which originated in the Arabian Peninsula. The effect of the geographic environment is clearly manifested in its vocabulary which abounds in words accurately describing desert environment.

The spread of Islam east and west led to the spread of Arabic language in the same directions. In this respect the Holy Qur'an has been of crucial significance in propagating the Arabic language in all the lands overwhelmed by Islam. Such a vast spread is unprecedented in the history of any language. The spread of the Arabic language has also been influenced by various geographical factors such as place, topography and climate. It spread northwards as far as Tigris and the Euphrates and westwards across Sinai and Strait of Bab al Mandab into Africa where it eventually replaced the Coptic and Berber languages.

At present, about 130 million people speak Arabic (representing 89% of the total population of the Arab world). Only about 17 million people of that total speak other languages, most important of which are:

Berber, Kushitic, Sudanic, Kurdic and Persian languages.

1. Spencer, J.E., Thomas, William L., Cultural Geog., New York, 1969, P. 19.

2. Brock and Webb, A Geog. of Mankind, New York, 1968, PP. 102–107.

3. Spencer, J.E., Op. cit, P. 21.

(٤) سعيد الافغاني ، نظرات في اللغة عند ابن حزم ، سنة ١٩٦٣م ، ص ١٩ ٠

(٥) اسرائيل ولفنسون ، تاريخ اللغات السامية ، القاهرة ، سنة ١٩٢٩م ٠ ص ٣ ٠

(٦) انور الجندي ، الفصحى لغة القرآن ، دار الكتاب اللبناني ، بدون تاريخ طبع ، ص ٢٢ ٠

(٧) انور الجندي ، الفصحى لغة القرآن ، ص ٢٢ ، نقلا عن السيد محب الدين الخطيب ، الزهراء م١ ٠

(٨) جواد علي ، المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام ، جـ١ ، ص ٢٥٤ ٠

(٩) نسيب وهيبة الخازن ، من الساميين الى العرب ، بيروت سنة ١٩٦٢م ، ص ١٠ ٠

(١٠) صالح أحمد العلي ، محاضرات في تاريخ العرب ، بغداد سنة ١٩٦٨ ص ٩ ٠

(١١) مصطفى مراد الدباغ ، جزيرة العرب ، الجزء الاول ، بيروت سنة ١٩٦٣م ٠ ص ١٣٨ ٠

(١٢) أنور الجندى ، الفصحى لغة القرآن ، ص ٦ ، نقلا عن محب الدين الخطيب ، الزهراء ٠

(١٣) نسبه الى جبال الصفا المجاورة لجنوبي دمشق ٠

(١٤) السيد يعقوب بكر ، دراسات في فقه اللغة العربية ، مكتبة لبنان سنة ١٩٦٩ م٠ ، ص ٨ ٠

(١٥) عبد المحسن عاطف سلام ، حيوات العرب ، سنة ١٩٦٨ ، ص ٣٧ ٠

(١٦) السيد يعقوب بكر ، المصدر السابق ، ص ٨ ـ ٩ ٠

(١٧) عبد المحسن عاطف سلام ، المرجع السابق ، ص ٣٤ ٠

(١٨) جواد علي ، مصدر سبق ذكره ، ص ١٦ وما بعدها ٠

(١٩) عباس محمود العقاد ، الثقافة العربية اسبق من الثقافة اليونانية والعبرية ، ص ١٠ ٠

(٢٠) الشيخ احمد رضا العاملي ، مولد اللغة ، ص ٣٩ ٠

(٢١) جواد علي ، نفس المرجع السابق ، ص ١٥ ٠

(٢٢) اسرائيل ولفنسون ، المرجع السابق ، ص ٣٩ ٠

(٢٣) عبد المحسن عاطف سلام ، مصدر سبق ذكره ، ص ٣٧ ٠

(٢٤) ابراهيم انيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٧٠م ، ص ١٤ ٠

(٢٥) ساطع الحصري ، ما هي القومية ، ص ٥٦ ٠

(٢٦) ابراهيم انيس (دلالة الالفاظ) القاهرة ١٩٦٣م ، ص ٧٧ ٠

(٢٧) جرجي زيدان (اللغة العربية) دار الهلال ، ص ٣٤ ٠

(٢٨) للتعرف على مزيد من الألفاظ الدخيلة على العربية ، انظر مجلة المجمع اللغوى (المصري) جـ ٨ ، ص ١٦٥ ٠

(٢٩) صبحي الصالح ، نفس المرجع السابق ، ص ١١٢ ٠

(٣٠) ابراهيم انيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، ص ٢٢٠ ٠

(٣١) سعيد الافغاني ، أسواق العرب ، ص ٢٨ ٠

(٣٢) نفس المرجع السابق (ص ١٧) ٠

(٣٣) سورة الملك ، آية ١٥ ٠

(٣٤) مسند الامام احمد بن حنبل ، طبعه دار صادر بيروت ، حـ١ ، ص ١٦٦ ٠

(٣٥) الهمداني ، أبو بكر أحمد بن محمد ، مختصر كتاب البلدان ، طبعة ليدن سنة ١٣٠٢هـ ، ص ٤٧ ٠

(٣٦) لا نجد اتفاقا بين الباحثين على عدد هذه الاسواق ، فقد أورد الهمداني في كتاب صفة جزيرة العرب ص ١٧٩ ، نحو خمسين اسما ، ويذكر القلقشندى ثمانية أسواق ، اما الألوسى فيذكر في بلوغ الأرب اربع عشرة سوقا ، وقد أورد سعيد الافغاني في كتابه أسواق العرب عشرين اسمـــا ٠

(٣٧) قيل سميت « عكاظ » لان العرب كانت تجتمع فيعكظ بعضها بعضا من المفاخرة اي يقهره ويقال تعكظه القوم اذا اجتمعوا للمشاورة في أمورهم (سعيد الأفغاني) أسواق العرب ، ص ٢٨٩ ٠

(٣٨) أبراهيم أنيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، ص ١٧٥ ٠

(٣٩) جرجي زيدان (اللغة كائن حي) ، ص ٥٩ ٠

(٤٠) ابو منصور الثعالبي ، فقه اللغة ، ص ٥٤ ، ٥٥ ٠

(٤١) عبد الحق فاضل ، مغامرات لغوية ص ٥٩ ، ٦١ ٠

(٤٢) محمد المبارك ، فقه اللغة وخصائص العربية ، ص ١٦٣ ٠

(٤٣) محمد المبارك ، المصدر السابق ، ص ٢٦٥ ٠

(٤٤) انور الجندى ، الفصحى لغة القران ، دار الكتاب اللبناني ، بدون تاريخ طبع ، ص ٣٠١ ـ ٣٠٢ ٠

(٤٥) تهذيب ابن عساكن ، حـ ٦ ، ص ١٩٨ ٠

(٤٦) ابراهيم أنيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، ص ١٨٥ ٠

(٤٧) انور الجندى ، الفصحى لغة القران ، ص ٧٢ ـ ٧٤ ٠

(٤٨) ابراهيم انيس ، اللغة بين القومية العالمية ، ص ٢١٢ ـ ٢١٩ ٠

(٤٩) محمد محمود محمدين ، علاقة الجزيرة العربية بشرقي افريقيا ، مجلة الدارة ، الرياض ، يوليو ١٩٧٦م ٠

(٥٠) ابراهيم انيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، ص ١٩١ ٠

(٥١) من هؤلاء الباحثين ، الاستاذ الدكتور يوسف ابو الحجاج الذي يرفض القول بان الاسلام وقف عند الغابة الاستوائية في افريقيا ، او حالت دونه ودون بلاد « برما » الجبال الشاهقة « اركان يوما » (بحث بعنوان نمط انتشار الاسلام قدم في المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول الذي عقد بالرياض في الفترة من ٢٢ـ١٣٩٩/٢/٢٨هـ الموافق ٢٠ـ١٩٧٩/١/٢٦م) ٠

(٥٢) انور الجندى ، الفصحى لغة القران ، ص ٧ ٠

(٥٣) السيد يعقوب بكر ، دراسات في فقه العربية ، مكتبـة لبنـان ، سنـة ١٩٦٩م ، ص ١٥ (بتصرف) ٠

(٥٤) عبد الوهاب عزام ، مهد العرب ، دار المعارف بمصر ، سنة ١٩٥٥ ، ص ١٧ـ١٨ (بتصرف) ٠

(٥٥) سيرتوماس ، ارنولد ، الدعوة الى الاسلام ، ترجمة حسن ابراهيم . وعبد المجيد عابدين . القاهرة ، سنة ١٩٧٠م ، ص ٦٣ .

(٥٦) أمين النفوري ، المسالك والدروب التي انتشر عليها الاسلام ، بحث قدم الى المؤتمر الجغرافي الاسلامي الأول بالرياض ، يناير سنة ١٩٧٩م .

(٥٧) السيد يعقوب ، فقه اللغة العربية ، المصدر السابق ، ص ٢٢ .

(٥٨) السيد يعقوب بكر ، فقه اللغة العربية ، المصدر السابق ، ص ١٨ .

(٥٩) ابراهيم أنيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، ص ١٩٨ـ١٩٩ .

(٦٠) محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم ، طبعة مكتبة خياط ، بيروت ص ٩٦ ، ويعد المقدسي أحد رواد الجغرافيا اللغوية في العالم (الباحث) .

(٦١) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ١٢٨ .

(٦٢) المقدسي ، المصدر السابق ، ص ٢٠٣ ، (٦٣) أنحاء جمع نحو .

(٦٤) ابراهيم أنيس ، اللغة بين القومية والعالمية ، ص ٢٢٣ .

(٦٥) السيد يعقوب بكر ، دراسات في فقه اللغة العربية ، ص ٢٦ .

(٦٦) مجلة المعهد الجديد الصومالية ، فبراير سنة ١٩٧٣ ، ص ٩ .

(٦٧) يعقوب السيد بكر ، دراسات في فقه اللغة العربية ، ص ٢٧ .

(٦٨) هناك معاجم تقصت الكلمات العربية التي دخلت لغات الاقطار الاوروبية مثل معجم دوزي الذي أشار الى الكلمات الاسبانية والبرتغالية التي من أصل عربي .

(٦٩) يدخل في هذا العدد فلسطين المحتلة .

(٧٠) محمد محمود محمدين ، مذكرات في جغرافية العالم العربي ، جامعة الرياض سنة ١٣٩٦هـ ، ص ٢

(٧١) انضمت الصومال الى جامعة الدول العربية في ١٤ فبراير سنة ١٩٧٤م ، وتتخذ الصومال اللغة الصومالية لغة رسمية لها ، ويصل عدد سكان الصومال الى اكثر من ثلاثة ملايين نسمة .

(٧٢) يدخل في هذا التقدير بعض سكان القارة الافريقية من غير الدول العربية .

(٧٣) لا توجد احصاءات ، وهذه النسبة من تقدير الباحث نتيجة دراسة ميدانية .

(٧٤) محمد عبد الغني سعودي ، الوطن العربي ، القاهرة سنة ١٩٧٠م ، ص ٢٥٩ ، (بتصرف) .

(٧٥) عزة النص، الوطن العربي، الاتجاه السياسي والملامح الاقتصادية، دمشق ١٩٥٩ ، ص ١٩٢ .

(٧٦) حسن عبد القادر صالح ، البلدان الاسلامية والاقليات المسلمة في العالم المعاصر ، من مطبوعات المؤتمر الجغرافي الاسلامي الاول ، الرياض ، صفر سنة ١٣٩٩هـ ، ص ١٨٨ .